الفرصة لشرب دمنا . فجعلنا نعول ونبكي . اما الاكراد فقصدوا البئر واحاطوها واقبل العسكر ففصلوا منا عشرة ومضوا بهم اليها ووافى غيرهم وفرزوا عشرة ومضوا بهم اليها ايضاً وقس عليه البقية . واتفق لتزيا بنت الياس حبتك ان اختطفها اوصمان الكردي ومضى بها الى بيته في القوس فاحس الشيخ جلال الارديني وراح يتهدد اوصمان ليسلمه اياها فابى عليه ذلك . وصانها عنده مدة ثمانية ايام ثم احضرها بنفسه الى ماردين . اما نحن ففي اخر الكل وافى الينا العسكر في جملتهم رجل اسمه خليل كان صديقاً لالياس شقيقي . فذكره اخي بسابق الصداقة والتمس منه ان ينقذني وحدي من القتل فوعده بذلك فاعطاه اخي ساعة وكمية من الفضة بمثابة هدية فاخذني خليل ودفعني الى كردي يقول له . صنه عندك حتى المساء . اما الكردي فدفعني الى خادمه وهذا سار بي الى بيته

وانا ذاهب التفت لارى ما حل باخي الياس فاذا هو والسبعة الباقون قد غابوا عني وقتلوا والقوا في البئر . ومررت في طريقي بطائفة من النساء الكرديات حاملات فتياناً وفتيات ماضيات بهم الى دورهن ولم اعرف منهم سوى ابنة من بيت البازوعا

ولما وصلت الى بيت افنديكو الكردي في قرية بفدك لقيت عنده ابناً لجرجس كرابيد آدم وولدين لنصري زلطان . ولما اصبحت شاهدت في تلك القرية قوماً من نسوة ماردين ودياربكر مع اولادهن غير ان افنديكو لم يعاملني مثلما كنت اظن بل عراني وبعثني مع ابنه الى قرية شيخ اوصمان عند تل هلف . فلمح على صدري ذخيرة عود الصليب الكريم فاختلسها مني وقفل راجعاً فثار به ابن الشيخ

محول وضربه ضربة اليبة شقت جمجمته فاستدعوا طبيباً كردياً عالجه زمنا حتى زهقت روحه . وتمت مقتلة القافلة يوم السبت ٢٥ ايلول

وآخر قافلة استاقها الاعداء في سلخ ايلول عرفنا منهم بيت جبرائيل عطاالله وبيت حناوي وبيت سلجاية بلغ عددهم فوق الاثنين ومضوا بهم الى قلعة اقرص وحملوا عليهم وذبحوهم والقوهم في البئر وانقلبوا راجعين بثيابهم واسلابهم . فكانت والحال هذه بداءة المذابح وخاتمتها في القلعة المذكورة . وبعد ذلك كله الغي العسكر الحميدي لانهم انهوا العمل فوق ما يرام وادوا الوظيفة حقها بالتمام والسلام

الفصل الرابع والثلاثون

في العملة النصارى

نذكر القارىء العزيز بما قلناه (ص ١٢٧) في شأن صدور الامر بتوسيع الجادة واصلاح الطرق داخل البلدة وخارجها واتفاق الكلمة على تشييد منارة حديثة في الجامع المعروف بالشهيد . فاحدثوا لذلك عملة من النصارى الداخلين في السن الجندية ليشتغلوا مجاناً من دون ان يعينوا لهم بشي . واقاموا الاستاذ لولي كيسو المشهور اماماً واستاذاً ولما اشتد الاضطهاد صدر الامر بازدياد عددهم لانجاز الشغل بسرعة . فعينوا قوماً لمقالع الحجارة وقوماً لاصلاح الطرق . وطائفة لتقويض البيوت . وجماعة لتجديد دار الحكومة وتشييد المنارة

وبادىء بدء عولوا على توسيع الجادة العمومية استعطافاً لخاطر رشيد الطاغية واطلقوا عليها اسمه الكريه ليكون بمثابة تذكار لا

يمحي من صدر كل من عرفه ووقف على دهائه : فنشموا منذ اذ يهدون البيوت والدكاكين وقوضوا جانباً من كنيسة الكلدان وكنيسة الكبوشيين. وما برحوا يهدون ويقوضون حتى ثالث حزيران فقبضوا على جبرائيل زاعور وساروا بجبرائيل نهيبه الى كنيسة الارمن يستوضحونه وتهددوه وضربوه وصحنوه باقدامهم وشددوا عليه في التقرير فقال لهم لست اقدر ان اكذب او اخالف الحق . فانه لا شيء في البيعة البتة . فتحمضوا عليه واثخنوا فيه حتى أغمي عليه فحمله رجل الى بيته وظل يومين لا يدري أفي عالم الاحياء هو ام في عالم الموتى ثم قبضوا عليه واضافوه الى اصحابه وقتلوه

ويوم السبت ٥ حزيران اقبل الى البلد اغاوات المشكوية وبين يديهم ابن الوزير موثقاً وهم يقولون له اقد صممنا ان نذبح كلب بيتك فكيف يتيسر لنا ان نفحص عنك. ثم حضر عبد القادر جاويش البلدية يقول لالياس بن حنا قوج السرياني رئيس العملة . ان خضر جلبي يأمرك ان تنشيء دفتراً تدون فيه اسماء من عندك من العملة وتذكر طائفة كل منهم . فقام بالامر حالاً ودفع الدفتر الى الجاويش غير ان المشكويه والمفرضين كانوا يبوحون الى المنصبين باسماء من عند الرئس من الارمن فيقبل محمد كبوشو القتل ويقبض عليهم .

وفي ١٢ حزيران وافى فائق افندي معاون القومسير وخضر جلبي في شرذمة من العسكر الخمسيني فجمعوا العملة عند باب المشكية واستوضحوا كلا منهم عن اصله وفصله وطائفته فافرزوا الارمن ومضوا بهم الى السجن

ثم اقبل محمد كبوشو يضرس اسنانه ويفتل شاربيه ناظراً الى

الياس نظر مسخوط وساقه الى مقام البوليس فاستنطقه المعاون فتأكد انه سرياني فقال له . اطلقك على ان تخدم افكارنا . فوعده لخوفه وانصرف ليواصل عمله

ويوم الخميس ١٧ حزيران القي القبض على الياس وعلى جميع العملة وعددهم ١٢٠ واستاقوهم الى الشكنة فالقلعة فمكثوا بها خمسة وعشرين يوماً محشورين في غرفة ضيقة حرجة جداً. وكان الجند يثيرون الاكراد ليكبسوهم في محلهم الحرج ويؤذوهم ويضيقوا عليهم . فمن دفع عشرة غروش الى عبد العزيز جنر قضى ليلته خارجاً والا استمر داخلاً فتاذى وتعذب . وكان يوسف التخوماني من احنق الجنود على النصارى وكان يدخل عليهم ويقسر كلا منهم ان يؤدي له رشوة او يضربه قدر ما يشأ من الضربات

ولما رجعت القافلة الثانية من ديابكر انتقوا منهم مائة وثلاثة وثلاثين وساروا بهم الى القلعة وحشروهم في بيت ضيق وحضر ضابط يقول : قد وردت الاوامر بابعادكم ومهاجرتكم ولعلكم قبل بلوغكم الى المهجر يدركم العفو فلا تضطربوا . قال له الياس كبيرهم « يا افندينا ايشمل امرك هذا العملة » قال كلا. وذهب الى الحجرة الثانية وبلغ ذلك الامر للمائة والثلاثة والثلاثين . فاخرجوهم سحراً في حال يرثى لها. فكنت تراهم منحدرين والضربات تتساقط عليهم كالصواعق والامطار . وبالغوا في ضرب جرجس نهيبه حتى أعيا عن المسير فتركه الجند على آخر رمق فاقبلت الطاربة وجعلن يرجمنه حتى فاظ فاتى اهله وحملوه ودفنوه ومضوا بالقافلة الى اقرص فاغار عليهم الداشية والمشكوية ورجال رشمل وقباله وقتلوهم

باجمعهم وزجوهم في البئر

وظل العملة يتقاون على جمرات الانتظار متوقعين وفود المنون من يوم الى يوم حتى وافتهم الاوامر بالذهاب الى قرى الكولية وتل ارمن والابراهيمية ودارا وسائر القرى التي ذبح اهاليها النصارى ليحصدوا الزروع المسية · فاقبل شكري بك الملي وبيده دفتر اسماء العملة فاذا باسماء الارمن المتبقين معلمة بحبر احمر مما ينوط استعماله بالمتصرف فقط · فاطلقوا السريان وتركوا الارمن وحدهم ·وصباح عيد رمضان ١١ آب سار الياس الى القلعة ليتفقد العملة الارمن الذين تخلفوا فيها فقيل له انهم قد مضوا بهم الى الزنار والقوهم في بئر هناك · ولم يفلت منهم سوى الشاب اليـاس جرجي الذي استمر في تلك البئر نحو شهر حتى قضى الله بنجـاته فعاد الى ماردين ولا يزال حيًا يرزق

اما سائر العملة فواصلوا الشغل داخل البلد اسبوعاً فقط · وفي ايلول انتقوا من العملة طائفة ليشتغلوا في عقبة الفرس المشهورة تحت رئاسة اطلي القنبور فكان هذا اللئيم يعذبهم جدًا ويقسرهم عـلى كل عمل شاق مستصعب من دون ان يعينهم شيئًا · وكان في كل امسية ياتي بهم الى باب الشكية فيرفعون المجارف والرفوش والفؤوس وسائر آلات العمل الى فوق وينادون ثلاثًا « باد شاهم جوق يشا » وكان هو على قصر قامته ينط ويقفز طربًا فتم فيه ما قيل عـلى لسان العامة

قومي ارقصي لي شويه   يا عقروقـة الميـه
لما كلتُ قامتها   طلعت شبرين وشويه

ولما بدأت تتوارد قوافل الارمن من البلاد القاصية كان الاكراد يحملون على المرأة ويهتكون سترها ويبطحونها ويتناولون الخناجر فيشقونها من ترقوتها ويفتشون عما لعلها ازدردت من الذهب·وكان العملة يشاهدون في كل اصبوحة جثثًا مبثوثة على الطريق فيبادرون الى دفنها لئلا تنتشر الروائح وتعم العدوى· بل ان الحكومة انارها الله عينت قوماً من العملة لدفن اجسام القتلى الملقـاة في الطريق من دياربكر الى ماردين · لان اغلب الارمن ما قتلوا الا في هـذه الاراضي الشقية

الفصل الخامس والثلاثون

حزم المسيحيات وبسالتهن

كلَّ القتلة وملوا واسترخت سواعدهم وعجزوا ولم يتيسر لهم ان يظفروا بآربهم · تثلمت سكاكينهم وفؤوسهم وتكسرت خناجرهم وسيوفهم ولم يفوزوا بخبيث نياتهم وفساد شهواتهم · على انهم شاهدوا من النسوة والفتيات ما لم يكن يدور في دماغهم النجس · وفاتهم ان المسيحيين قاطبة ليسوا الا جسمًا واحدًا يرأسه المسيح ربهم وفاديهم « ليس عبد ولا حرّ ليس ذكر ولا انثى لانهم جميعهم واحد في المسيح يسوع [غلاطية ٣] وكلهم ابنـاء كنيسة واحدة منتمون الى اب واحد ومدبرٍ واحد ورب واحد· وقد صح ذلك في نسوة زماننا فان كلا منهن لما مستها البأساء واكتنفتها البرحاء ابدت بسالة وفطنة لم تخطر على قلب الخصم واستطاعت كل شيء في الذي قواها [فيلبي ٤]

على ان الفتاة او المرأة لدى الترغيب والوعد والوعيد والضرب والتعذيب كانت تشعر بدافع قوي يضطرهـا الى بذل عنقها حبأ لخالقها . بل كانت تستجمع قوى جديدة لتناضل عن حقوقها . بل راحت غير واحدة تعترض اعتراضات معلمة حصيفة وتجاوب اجوبـة سديدة يعجز عن مثلها امهر الفلاسفة واحذق المنطقيين. ذلك لسماعها الانجيل الكريم يقول « ضعوا في قلوبكم ان لا تفكروا من قبـل فيما تحتجون به فاني اعطيكم فماً وحكمة لا يقـدر جميع مناصبيكم على مقاومتها ولا مناقضتها (لو ٢١) ولا مشاحة فانـه آنى وجد الدين راسخاً وجد الحزم ولاحت البسالة وتـلألأ الكفر بالذات

وقد ابدت لنا غير واحدة ممن نجت ان الخصم اذ كانوا يجزون الرؤوس او يعرون الاجسام كانت الالسن تتشاغل بالاناشيد والترانيم ولما كان السيف فوق هامة الفتاة واليد قابضة عـلى عنقها كانت تصيح كريسطوس كريسطوس . او قدوس الله دلالة عـلى غلوها في الدين الحق . وكانت البنت تبـادر الى الذبح قبل الام وكانت الام تبوء بفلذة كبدها حبأ لفاديها وتقول ان اولادي هم بمثابـة عوار استودعينهم ربي ومتعني بهم الى اجل معدود ثم يقبضهم اليه وقتما يريد وكانت غيرها تسارع الى القتل والسبحة في يدها كانهـا لا تحسب للموت حساباً . اما الفتاة الجميلة فلما كان يخطفها احـد الانـذال كانت تنهزم من بين يديه وتعود الى المذبحة وتعرض عنقها للذبح

اجل ان الجنس الانثوي النحيف البنية غدا بوطيد ايمانه وشديد

غرامه بالاهه كصخرة صلدة لا تزعزعها الارياح ولا تزحزحها العواصف ولا تزعجها سطوة حاكم ولا تغلبها تمليقات لئيم ولا تشويقات شهواني نذل . ففاقت الانثى بذلك رجاها واباها او نجلها واخاها لانها كانت مستهدفة لنبال العدو الفاجر اكثر منهم

واهاً لك ايها الايمان القويم ! ما اشد تأثيرك في النفوس ! انك تولي المتعصم بك قوة غريبة وتسكره سكرة عجيبة فيستحلي العذاب ويتشرف بالعـار وينزل الى مضمار القتال ويصارع اوحش الوحوش ويفوز باكليل الظفر

سقياً لك يا عروس السيد المسيح وابنة الايمان الصحيح ! يا من وطئت باخمصك زهو الدنيا وغلبت لذائذ العالم وبطشت بالطواغيت. عقدت على راسك تاجاً مرصعاً وطوقت جيدك بقلادة كريمة. مددت عنقك للذبح ففاح شذا ضحيتك. ما اجمل اعضاءك مضرجة بدمائك. ما اجمل قدك متنطقاً بجراحك . ما الطف محياك مخضبا بالالوان اليانعة . انقض الاعداء ليسلبوك جوهرة بكارتك او يثلموا درة عفتك فامتنعت عليهم وخيبت ماربهم. بدلت جمال طلعتك ليستكشفها الفجرة فيزداد بهاؤك عند ملاقاتك ربك . طوبى لك فان الكنيسة عروس السيد المسيح تحتفل بعيد انتصارك الباهر وتخلد لك الذكر الطيب كسوسنة ويهوديت وشموني واغنيسة ولوقينة وفبرونيا وبرباره ويولينا وغيرهن من الشهيدات النبيلات الحازمات الباسلات

❧

الفصل السادس والثلاثون

سفك دماء الابرياء

اذكر ايها القارىء الحبيب ما حل بقاين الحقود امام القتلة وسفاكي الدماء . كيف ان اللعنة لزمته والرعبة ملكته والارواح الخبيثة عذبته حتى انه لما دعا الرب لم يستجبه بل قال له « تائها وشاردًا تكون في الارض . وملعون انت من الارض التي فتحت فاها لتقبل دماء اخيك من يدك (تكوين ٤) وشاول بما انه ذبح ثمانين كاهنا سقط في الحرب وقتل اشنع قتلة . واحاب ذبح نابوت فلحست الكلاب دماءه ودماء ايزابل اللعينة امراته . ذبح الاعداء زكريا الكاهن واخوته فلعنت ارضهم واجتيحت مدينتهم . ويوياقيم ذبح اوريا بن شمعيا فلعن ومات ودفن كالحمار . وقد كتب موسى « ان الدم يدنس الارض ولا يكفر عنها الدم الزكي الذي سفك عليها الا بدم سافكه (سفر العدد ٣٥)

ليت شعري بم يحتج اليوم من اصدر الاوامر في سفك دماء الابرياء بل بم يحتج الذين سفكوها بايديهم الاثيمة . كيف يتيسر للذين رفعوا ايديهم الخبيثة على مسحاء الرب وذبحوهم وذبحوا جماعتهم وابناءهم ان يبرئوا ذواتهم ؟

كأني بتلك الدماء الزكية الطاهرة تصرخ كدماء هابيل ونابوت وزكريا وغيرهم من قلل الجبال وبطون الابار وسطح الكرة الارضية طالبة الانتقام . لعمري ان التفكر في ذلك يرعش الفرائص ويرعب القلوب . فان سفاكي الدماء الزكية يستوجبون نقمة فوق

نقمة ولعنة فوق لعنة . ولا يمكن لكائن من كان ان يعرف قيمة الدم البري الا البري الذي سفك دمه الزكي على الصليب حبًا لاولاده . فهنيئًا لكم اذًا ايها المسيحيون الابرياء فان طالب دمائكم يقدرها حق قدرها . سيروا اليه لانكم ذبحتم نظيره خارج المدينة وحملتم عاره (عبر ١٣) وتتمتعون بمشاهدته الى دهر الداهرين.

الفصل السابع والثلاثون

الوان المذابات

استنبط رجال اوربا الاعلام من الغرائب والعجائب ما حير عقول الانام فاقروا لهم بالسبق واثنوا عليهم كل الثناء . نبغ بينهم رجال حذقوا جميع الصنائع ووقفوا على غوامض الطبائع فاستحدثوا مثلاً البواخر والمدرعات والبوارج والتلغرافات السلكية واللاسلكية . وانشأوا المناطيد والطيارات والدراجات والقطارات واوجدوا المطابع لنشر الكتب والادوية لدرء الامراض والعاهات . اكتشفوا الاثار والعاديات وفكوا ما أغلق على غيرهم من المشكلات . هذا الى اصناف المعارف والفنون التي طبلت لها المجلات وزمرت لها الصحف والنشرات فتهافت على مطالعتها القراء واثنوا على مخترعيها وكافأتهم دولهم على اعمالهم احسن المكافاة

فهذا كله لم يعره الاتراك المحادو الانسانية اذناً صاغية بل راحوا يتفننون في اختراع الالات الشيطانية للتنكيل بالبشرية . اجالوا اقداح الاراء في تهيئة العدد ونزلوا باجمعهم الى ميدان المعارك لا يثنيهم عن الفظاظة والجفاوة مبدأ ولا تردعهم شريعة ولا سنة . واليك نتفاً من

اشكال تلك العذابات التي استنبطوها لتتبصر فيها وتحكم بما يستوجبه مخترعوها

حشدوا اطفالاً في البرية وكوموا فوقهم الحطب واقبسوه النيران فتسعر كاتون بابل واحرقهم . وحشروا غيرهم في وادٍ ووضعوا فوقهم حسكا وعوسجا ثم ركبوا الخيل واستركضوها فوقهم فوطئتهم بسنابكها وفتكت بهم . اضطروا جماعة ان يرقدوا تحت عربات القطار الحديدي فسار القطار وهرسهم . واثاروا الكلاب المواقر على الفتيان فنهشتهم واكلتهم . جمعوا اطفالاً في المتابن والقوا فيها النيران فاحرقتهم والتهمتهم . واوثقوا فريقاً باخشاب ضخمة ونشروهم من الهام الى الاقدام . كووا طائفة بالمياسم وبردوهم بالمبارد . واختضروا آذان غيرهم وشرموا آنافهم وفزروا اناملهم وبتروا اقدامهم وارادوهم على المشي حتى زهقت ارواحهم . سفدوا طائفة كاللحم المشوي وكووا جباههم وسائر اعضائهم . وجلفوا اظفار غيرهم عن اصابع يديهم ورجليهم وفلقوا هامهم واقحافهم . ثقبوا ايدي قوم ورجليهم واذنيهم وعينيهم بمسامير ضخمة وشرحوا غيرهم بالمدى والمواسي حتى فزّت جراحهم وتضرجت اجسامهم . وسّطوا فئة من الاطفال وقدوهم وضربوا امهاتهم بالوتد حتى هرب فيهن كله . نتفوا لحية الاقنس وشاربيهم واشفارهم وحاجبيهم حتى تخضبت وجوههم بالدماء ثم وضعوا فيهم الخناجر وقتلوهم . شقوا البطون ليستخرجوا ما فيها من التبر والنقود . وذبحوا قوما وحسوا دماءهم . جردوا لحمان طائفة من عظامهم وكبكبوهم وتركوهم فريسة لجوارح الطير . ودمسوا جماعة في الحفائر والخنادق

وضيقوا عليهم حتى فطسوا . زجوا غيرهم في الابار واتلفوهم . وانتقوا فئة القوا بهم من اماكن شاهقة تجاه امهاتهم حتى استطارت صدوع اكبادهن من الحنين اليهم . ازلفوا الشيوخ في الصحارى فظلوا يشكون الجوع والعطش حتى فاضت ارواحهم . وحفروا للبنات المفيئات حفائر اهبطوهن اليها مكشفات ورجوهن حتى غاب نصف بدنهن فتركوهن كذلك الى ان فاضت ارواحهن . انجقوا عيون البعض وقلعوا اسنانهم وجزّوا شعورهم وشرموا انافهم وفزروا اناملهم واقدامهم الخ وعلقوها في قفف ليراها غيرهم فيتعظوا ولا يخونوا الدولة ؟ القوا داخل البيوت حطباً اقبسوه ناراً فخر السقف واحترق ما في البيت مع من فيه . استحضروا نعال دواب وضعوها في النار وكووا بها خدي جماعة واليتيهم وسائر جسمهم . وسلقوا البيض ووضعوه تحت الابطين وعلى الراحتين حتى نضج اللحم وتفسخ . بل ان الاتراك استأجروا قصابين دفعوا لكلٍ ليرة كل يوم ليذبحوا المسيحيين فكانوا يدعون واحداً واحداً فيمد عنقه صاغراً صامتاً فيذبحه القصاب فياتي اخر وينقل جثته . هذا الى غير ذلك من ضروب العذابات الفادحة التي ياباها الله ويشمئزها الطبع ويأنف منها كل ذي عقل . واننا نضرب الصفح عن اللطم والصفع والضرب والجلد وما شاكل ذلك مما حسبه المسيحيون من اخف الالام واهونها . دع الاغتصاب وانتهاك الحريم الخ ولو شئنا لوزنا وكلنا من هذا الجراب شيئاً كثيراً جدا

ونختم هذا الفصل المؤلم الوجع بحادثة غريبة نقلها لنا فتى نجا من القتل بطريقة عجيبة قال : لما كنا نسير في الهاجرة بالقرب من

الدربيسية اقبل الاكراد وسالوا الحفظة ان ينتقوا من يستحسنوا من النسوة والعذارى فصفوهن اثنتين اثنتين وعرضن جميعاً واستعرضوهن عليهم . فاختار احدهم امراة صبيحة الوجه بيدها فتى ذو ستة اعوام واضطرها ان تنشق عن صواحبها فابت . اما الجند فجعلوا يقبضون على اثنتين فاثنتين ويدفعونهما الى كرديين واقفين على فم البئر فيقولان لهما كالعادة اسلما او نقتلكما ثم يذبحانهما ويلقيانهما فيها حتى اذا كان اخر الكل استدعوا المرأة الحازمة فطفق عاشقها يراودها عن نفسها ويعدها بالاطايب . فقالت له ببسالة : أأخون ربي واتبعك يا نذل أأكفر بديني والزم دينك يا لئيم . كلا كلا . اقتلني فاني لست افضل من صواحبي . قالت هذا وقبضت على ولدها والقته في البئر بيدها ثم مدت عنقها وقالت لذاك اللعين النجس اذبحني اقتلني والحقني بابني فقتلها ساخطاً والقاها في الجب . فراحت هي وولدها ترفل بثوب النصر في المجد الابدي

الفصل الثامن والثلاثون

احوال بقية النصارى الذين نجوا من القتل

لك ان تستخلص من كل ما كتبناه حتى الان انه لم يبق من الارمن الكاثليكيين بماردين سوى اربعة بيوت فقط اعني بيت يوحنا طازباز ونصري زرمبا وجرجس لاوو الخباز وسعيد متفونه وبعض نسوة منتميات الى الطائفة السريانية الكاثليكية والطائفة الكلدانية اما عامتهم فقتلوا او رحلوا او انهزموا او اسلموا. فتاتى من ذلك ان اسواق الكثلكة بعد ان كانت رائجة في البلدة ونواحيها ضاربة

اطنابها على براريها وضواحيها امست اليوم كاسدة لا تستغرق الا بيوتاً قليلة اخنى عليها الزمان وكادت تدخل في خبر كان لولا عناية المهيمن الحنان

فكان مثلها مثل كرمة يانعة تاصلت في الارض عذوقها وامتدت عروقها . واخضوضرت قضبانها واوراقها . فاينعت عناقيدها واعذوذب مذاقها . وهي لكذلك اذ هاج هائج خصومها فتسرعوا الى خضدها وتترعوا الى سحقها وقرضها . وحاولوا أن يقضبوا قضبانها . وينفضوا اوراقها وينثروا ثمارها ويستاصلوها بالمرة ويجعلوها مرعى لوحوش الصحراء ومربعاً للصوص الاوغاد الارديا . يختلفون اليها متى راموا ويتصرفون بها كما احبوا

غير انه تعالى بحكمة ربانية وعناية صمدانية تعهد هذه الكرمة المحبوبة التي غرستها يمينه المباركة الرحيمة واشفق على الخصاصة التي صانتها عينه الصالحة الكريمة . فأطفأ سعير احقاد خصومها وكسر شوكة خيانة مناوئيها . على ان هيرودس المنافق واصحابه اللئام حاولوا بكل وسعهم ان يستاصلوها من اصلها ويجتثوا اثرها تشفياً . ولكن الله سبحانه ابى الا ان تبقى فيها خصاصة تذكرهم على المدى بما اسلفوا من الجرائم وتدعوهم الى الرفق بالقريب والاحسان الى البشرية وتحرضهم ان ينبذوا ما كانوا عليه من الفساد واللؤم والخيانة . وفي الحق انه لولا ان الرب كان معنا عندما قام البشر علينا لابتلعونا ونحن احياء .. فتبارك الرب الذي لم يجعلنا لاسنانهم فريسة . نجت نفوسنا مثل العصفور من فخ الصيادين (مز ١٢٣) وانا لمتاكدون ان الذي غرس هذه الكرمة المحبوبة وسقاها بدمه

الكريم وغذاها بجسده الاقدس مزمع ان يعيدها الى سالف جمالها وسابق عزها فتتاصل وتنمو وتنتشر كامس وما قبل · فيعذب مذاقها ويزكو طعمها ويتشوف اليها الغريب فيبادر ويستظل بوريف ظلها ويرتشف سائغ شرابها ويسكر بخالص حبها ويهيم بغرامها ويود لو باء هو ايضاً بدمائه حبًا بغارسها وحارسها

ولا غرو فان دم المسيحيين يحاكي حبوب حنطة زهيدة زرعت في قلب الارض فاتت واحدتها بثلاثين وستين ومائة · وما اجدرنا ان نقول مع ابائنا النبلاء القدماء « يا هولا اسجنونا اوثقونا. اصلبونا اختنونا · اطردونا ضايقونا · عذبونا اسحقونا · فان لنا اباً رووفاً عطوفاً يمكث معنا ويحامي عنا ويحفظنا وينصرنا لانه قال « معكم انا في الضيق فانقذكم وامجدكم (مز ٩٠) واجعلكم منتشرين في جميع اقطار الدنيا

الفصل التاسع والثلاثون

في المراثي الوطنية

معلوم ان لكل بلدة لهجة تؤثر في قلوب سكانها شديد التاثير وتدعوهم الى البكاء والندب والعويل · فالماردينيون اثناء الحرب ولاسيا وقت الذابح والسبي انشأوا كثيرا من المراثي المحزنة المبكية وجعلوا ينشدونها ليلهم ونهارهم ولاسيا اذا حضروا الناعي او بغتتهم فاجعة او دهمتهم كارثة · وقد شئنا ان نطرف القراء بنتف منها على الوزن المعروف عندهم بماليه ذكرًا لما جرى

اتراك لا تعادونا   الأكراد من اين جاونا

كل الحبة حسبنا   في الذبح ما افتكرنا
جانا خبر العدم   اليوم على غفلة
مصطومة[1] حكومة ماردين   تودي قفلة بقفلة
في عصر عيد الجسد   رشيد بعث ممدوح
العسكر كبسوا المطران   وقالوا له قوم تروح
لما وصل السراي   ما عملوا له قيام
قالوا جا امر من فوق   تنعدمك اعدام
قالوا جيب معك السلاح   وتقدم لقدام
تناخذ افادتك[2]   ونقتلك مع الاعوام
نصارى قوموا صلوا   في ها المساوية
ابكوا وصلوا بلكي[3]   تفك عا المسيحية
امي لخاطر الله   قومي اعملي لنا حال
كل شي كنا نحسبه   القتل ما كان على البال
من عصر الخميس بدوا   كلهم يمسكوهم
في الحبوس وفي القشلة   كومات كوموهم
بالحبال والزناجير   بدوا يربطوهم
بالقضبان وبالقمشات   صاروا يجلدوهم
الساعة ثمانية بالليل   راحوا يشدوهم
كل اربع باربع سوى   بزنجير زنجروهم
لالاتهم[4] في رقبتهم   نخمات[5] ينخموهم

(١) مدومة (٢) استنطاق (٣) لعل (٤) طوق الحديد
(٥) دفعات

من القشلة ومن الحبس	ميسرين[1] طالعوهم
طاقة بطاقة مكتفين	مشيوا بذلية
منهم حفاية وكلهم	قلوبهم هي مكوية
طلعتُ تودعهم	والدنيا حزينة
يكسركم اسلام والمان	من اين ها العزيمة
نصارى قوموا اطلعوا	ساقوا الفدواية
صلبانهم على صدرهم	كلهم مسيحية
منهم شباب محسنين	كبار النصرانية
ودموعهم على خدودهم	وقلوبهم محشية
طلع قدامهم ممدوح	وكبار الملية
حولهم عسكر الخمسين	خلفهم مشكوية
لحقوهم مستعجلين	اكراد وداشية
خناجرهم في وسطهم	ومعهم عينلية[2]
عدوا النصارى في الباب	وقراوا اساميهم
اساميهم ايش كانوا	كانوا اخاوية
اخاوية ايش كانوا	دمَ اليسوعية
كلهم راحوا للقتل	ونالوا الاكليلية
كان طلع امر من فوق	عفا على السريان
اديب الكافر ما راد	وافقوه الاعيان
ساق الابروط والسريان	وشباب الكلدان

(١) كالاسرى (٢) بندقية

ساق الشيوخ والشبان	والاكبار والقسان
نصارى ابقوا في بيوتكم	طالعوا مالويان
اياديه مشددة	على صدره نيشان
صارت منزلته	في اراضي شيخان
وانتمت مذبحته	في قامة زيزوان
كما كريات[1] الغنم	والقطلمان ساقوهم
قالوا اسلموا ما اسلموا	ذبّيح ذبحوهم
في المغاور والجبوب	حلقوا[2] اجسادهم
وثيابهم اخذوها	ورجعوا الى بيوتهم
وقبل ما يذبحوهم	اختلى معهم المطران
صلى عليهم وحلهم	وناولهم القربان
يا نصارى اصطبروا	هذا السفر[3] ما يدوم
وان كان السفر تيدوم	القيامة تتقوم
ايش عملتم يا ارمن	وقعت ورقتكم
ايمت تيفلك السفر	تطلع حسرتكم
وايمت تيدور الفلك	تتجي ضربتكم
وان كان ما فك السفر	نحن تلتبعكم
الى متى في الجزا	والى متى في ها الحال
يا حسرتي على العمر	راح ضائع وبطّال
يا حيف على النصارى	لكانوا كلهم ابطال
ربي انت من عندك	تفرّج على الاطفال

(١) قطيع (٢) القوا (٣) الحرب

يا بنتي قومي تعي[1] دوري في الغـارة
جيبي الحبايب معك واحسبيهـا زياره[2]
خلي يحضرون معك قسان النصارى
صلوا علينـا وقولوا يا حيف عا الخساره
رجالنا وشبابنا راحوا قصانص خلونـا
يكفاكم اتراك يكفى اكثير ظلمتونا
ملأتم شطّ الدجلـة قسان ومطـارين
تليتم مرجة شيخان من جثث الحلوين
وحياة ربي وربهم ما يروحون من بالي.
اسمهم طيب حلو وعلى قلبي غـالي
عليهم خرب عمري وتيتموا اطفـالي
يا رب صبر من عندك انظر الى احوالي

في قافلة النساء

يا رب صيرني سواح تقعد عـا الطريقين
واستخبر لكل من راح لين ودوا القافلتـين
قفلة راحت لشيخان وقفلة لراس العين
لعبد الامام ودوهن ثنتين وراء ثنتـين
في الحفرة كردسوهن كلهن قدام العين
اطفالهن على اكتافهن ابو شهر وشهرين
من ثيابهن عروهن مَرتين[4] بعـد مَرتين
ومن كل واحدة اخذوا قـلادة وقلادتين

(١) تعالي (٢) مزار (٣) مقصوص الجناح (٤) اراتين

شقوا بطونهن طالعوا لـيرات بالكمشتين[1]
هرّبوا منهن بنات عمرهن سنة وسنتين
كردي دقنه لصدره قام وقت الصلاتين
ذبح وهرّب نسوان وما فضل غير مرتين
يا ما يتموا الاولاد وحرقوا الفواد
يا ما خرّبوا البـلاد وداسوا حقوق العباد



(١) حفنة

الجزء الرابع

في مذابح بلاد ما بين النهرين

الفصل الاول

نظر عمومي

هلم بنا نبحث عما صار في البلاد والقرى المجاورة لماردين مذ شبت نيران المذبحة حتى خمدت . فان الخصوم راسلوا المشايخ في البادرة الى نجدتهم والاشتراك معهم في خيانتهم فلبوهم من ساعتهم وبادروا ليساعدوهم على الاثم والعدوان وينغمسوا نظيرهم في حمأة الظلم والطغيان وتمّ فيهم ما ورد في كتابهم «وكذلك جعلنا في كل قرية اكابر مجرميها ليمكروا فيها وما يمكرون الا بانفسهم وما يشعرون [سورة الانعام]

على ان الايمة والمشايخ والصوفية والخطباء والقضاة والولاة وسائر

اصحاب النفوذ شطوا ونافقوا كثيراً حتى استجلبوا بقية القوم الى انجاز امنيتهم طوعاً او قهراً وقد كنا نود لو نرفع قدر قلمنا عن تسطير اخبار فسقهم وفجورهم وسرد شناعاتهم . ولكن الحقيقة اضطرتنا ان نكتب ما اقترفوا من المنكرات قدر ما تسمح لنا الظروف والاحوال . اذ لا بد من كشف احوالهم وان كان في كشفها بعض المرارة والصعوبة فان في بط القروح النغلة كما لا يخفى اذى شديداً والماً لصاحبها قاسياً اذا صبر عليه وجد بعد ذلك حلاوة العافية واطمأنّ قلبه فاثنى على الطبيب وقبل يده وشكر له تعبه واتخذ الذرائع الفعالة لئلا يسري اليه الداء من جديد

فالايمة اعلنوا بما اجترموا انهم خالون من العدل والرحمة عادمون كل مزية صالحة . والا فكيف ساغ لهم ان يكافئوا الحسنى بالسيئة ويستبيحوا الذمار وينتهكوا الحريم ويأمروا بسفك الدماء وابتزاز الاموال . اما المشايخ فصموا مسامعهم عن الصدق والاخلاص وجعلوا الكذب والخيانة فصل قولهم ومتن كلامهم فصدقهم الباقون واتبعوهم . اما الصوفية المتفانون بنفسهم الراغبون في الحقائق المتجنبون الدعاوي النفسانية فقد خرقوا تلك الاصول والمبادىء وجاروا الخونة في افاعيلهم وهم يعلمون ان عاقبة الخيانة سيئة يذيق الله صاحبها وبال امره ويسمه بسمة عار تبقى فيه وفي اعقابه اذ لا خزي ارجح من ترك الوفاء بالميثاق . ولا سوء اقبح من غدر يسوق الى النفاق . واية امة على ما قال الافغاني عطلت نفسها من حلية الامانة لا توجد فيها الا آفات جائحة ورزايا قاتلة وبلايا مهلكة ولا تلبث بعد هذا كله ان تبتلعها بلاليع العدم وتلتهمها امهات

اللهم . اما الخطباء المسمون حمامات المساجد فلم يذروا وسيلة لتسعير نيران البغضاء واصلات سيوف النقمة والتحريض على ارتكاب الشر بكل قوة

ان يعلموا الخير اخفوه وان علموا   شراً اذاعوا وان لم يعلموا كذبوا

فانهم اثاروا الاكراد على النصارى الامناء فجعلوا همهم الوحيد الاستيلاء على الارزاق والحاصلات وانفاقها في المعاصي والمنكرات.

اما القضاة فانهم نسخوا ومسخوا كل شرع وسُنة وبتوا احكاماً جائرة تمكنوا بها من الفوز بما رغبوا مع انهم يقرأون « وان حكمت فاحكم بينهم بالقسط » (سورة المائدة) لا بالغدر والافك والخيانة ولله من قال

اذا خان الامير وكاتباه   وقاضي الارض داهن في القضاء
فويلٌ ثم ويلٌ ثم ويلٌ   لقاضي الارض من قاضي السماء

فما اكتفوا بالحكم في دماء المسيحيين بل افتوا باستباحة اموالهم واعراضهم ودورهم فامسوا كما قيل

قضاة زماننا اضحوا لصوصاً   عموماً في البرية لا خصوصاً
فحسبك انهم لو صافحونا   لسلوا من خواتمنا الفصوصا

ولا بد لنا من اعادة ما قلناه ذات المرار اعني اننا نحن النصارى في كل بلدة وقرية كنا مطمئنين في مساكننا يضربون علينا الضرائب فنؤديها يلزموننا بالعانات فندفعها يضطروننا الى تخلية بيوتنا فنتخلى عنها يقسروننا على دفع الاموال فندفعها « كنا نشتم فنبارك نضطهد فنحتمل يشنع علينا فنتضرع (١ قور ٤) ومع هذا كله ما استحصلنا رضاهم . فاين منهم ذلك وهم يقرأون في سورة آل عمران « ولتكن

منكم امة يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر » ليت شعري اين دعاة الخير واين الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر ؟

الفصل الثاني

مذبحة اورفا (الرها)

ما مر على المذبحة الاولى (ص ٥٣) عشرون عاماً حتى نهض اعداء الانسانيه لاقتراف الفظائع تكراراً في مدينة الرها . وقد شئنا ان نلخص لقرائنا اخبار تلك المذابح ليكون كتابنا شاملاً .

في حزيران ١٩١٥ اصدر ذوو النفوذ اوامرهم الى جمهور المسيحيين لينقلوا ما عندهم من الاسلحة الى دار الحكومة فامتنعوا عليهم بادئ بدء ولكن الحكومة الحت في الطلب وتهددت المسيحيين باغلظ العقاب وافظع الميتات فاشار عليهم الرؤساء الروحيون بتسليمها وهم كذلك اذا بجيش عرمرم يتقدمهم قائدان المانيان في مدافع ضخمة وضعوها في القلعة وصوبوها نحو دور النصارى فدكوها واعدموا تحت الردم خلقاً كثيراً. ثم نشموا يكبسون الدور ويذبحون من تبقى

واخيراً جردوا شرذمة من الجند الى كنيسة الارمن الغريغوريين فقبضوا على الرئيس وكان شاباً لم يبلغ الاربعين واستاقوه أعنف سوق الى دار الحكومة وابرموا عليه في الجدال ثم قضوا بشنقه. ولما وصلوا به الى منقع العذاب استاذنهم في الكلام فاذنوا له رغبة ان يصيبوا منه حجة تخفف عنهم فظيع جرمهم . ففتح الرئيس فاه وقال بالتركية ما شرحه :

« في ظني ان خطيئتي عظيمة لاني حرجت على جماعتي مقاتلة الاتراك مع علمي الوكيد بانهم لو قاتلوهم لغلبوهم . . بناء عليه اننا نموت لا لتقصيرنا عن مصارعة اعدائنا بل حبا للدين المسيحي حباً لارمينية المنكودة الحظ . والله العدل قادر ان ينصف لنا من كل ظلّيم غشوم » وما انهى كلامه حتى ثار به الخصوم وشنقوه . وقتلوا عامة الارمن واستباحوا اموالهم وفتكوا بقسم صالح من السريان والكلدان واليعاقبة والارمن الكاثليكيين . فقتلوا القس حنا قندلفت والراهب افريم السريانيين وظل سائر الكهنة متزوين في بيوتهم حتى تجددت اوامر العفو عنهم

اما الورتبيد ورطان توماسيان رئيس الارمن الكاثليك فاختفى ردحاً من الزمان عند احد الاصدقاء وصرف لذلك السبب المبالغ الطائلة ولما درى به ارباب الحكم اصدروا الاوامر بنفيه الى الشام ثم سيروه الى اطنه والقوه في السجن وحكموا عليه بالاعدام فرفع الامر الى العاصمة فقضوا عليه بمائة سنة وسنة فاستأنف فحكموا عليه خمس عشرة سنة فميز فانعموا عليه بالحبس سنتين . غير انه قبل دخول الانكليز والفرنسيس الى اطنه بيومين اوفد الوالي في استدعائه ولفق عليه الشكايات الكاذبة وقضى بشنقه وامر ان يوثق بالحبال ويجرّ في شوارع الولاية . فتوسل اليه كبار النصارى ان يخفف وطأة العقاب فادّعى انه اقسم بالطلاق ولا بد من تنفيذ الحكم . وبعد الالحاف والالحاح تمكنوا من اقناع الوالي في تخفيف القصاص . ذلك ان الورتبيد ورطان سير به الى المشنقة فصعد الكرسي واوثق رقبته بيده وصاح بأعلى صوته اني اموت حبًا للدين المسيحي وحبًا

لارمينيه وليعلم جميع السامعين اني بري لا ذنب لي البتة » وبعد ان خرّ شهيدا راح المسيحيون لينقلوه بالعربة الى المقبرة . غير ان الوالي ابى الا ان يضعوا الزبل فوقه وتحته لئلا يحنث في يمينه الجورية وعلى هذا النسق شيعوه ولحدوه . انظر يا صاح الى اي حد يتصل الانسان من الكفر والخبث . ليت شعري هل يتعتب علينا اذا استمطرنا على مثل هذا الزنديق وامثاله اللعنات الابدية والنيران الجهنمية ؟

الفصل الثالث

مذبحة دياربكر وما يجاورها

لو شئنا ان نحصي الفظائع التي جرت في دياربكر السوداء ونستقصي الجرائم التي اقترفها محادو الانسانية لطال بنا الشرح وشردنا عن القصد . وحسبنا ان نقول ان دياربكر السوداء امست جرثومة النوازل ومغرس الغوائل ولقد صدق من دعاها قلعة الدماء . على ان الاتحاديين نصبوا رشيداً العاتية والياً عليها وخولوه امتيازات سامية وسلطة واسعة مطلقة وزودوه شرذمة من القتلة العفاريت المشهورين بفظ الطباع وقساوة القلب كاحمد بك السرزي ورشدي بك وخليل بك وممدوح الذائع الصيت وغيرهم

بناء عليه اذاع رشيد الخبيث في خامس نيسان ١٩١٥ ان ستة ضباط انهزموا من العاصمة ووافوا الى دياربكر ليضرموا فيها جذوات الشحناء والقتال واستدراكاً لذلك اوفد ينتش عنهم في الكنائس ودور الوجهاء للقبض عليهم . وكان اولائك الستة اللاعين جواسيس شياطين اصطفاهم رشيد عينه ووسوس لهم ان يقصدوا كنيسة

الارمن الغريغوريين متظاهرين بالنصرانية بغية الاطلاع على النيات والسرائر . وما مضى القليل على ذلك حتى تحفز رشيد ذاته ورشدي بك القومندان وجما اليهما اطرافهما كالقومسير والضباط ونشوا يجولون في الدور ولما وصلوا الى كنيسة الارمن وصادفوا الجواسيس نادوا بالويل والثبور وزكبهم ابليس ابو الشرور فأمروا بنبش الكنيسة ودار المطرنة لاستخراج القنابل والمدافع وثابروا على ذلك مدة خمسة ايام

وفي تلك الغضون وصل الى دياربكر السوداء ٨٤٠ من العملة الارمن كانوا يشتغلون مجاناً منذ ايلول ١٩١٤ في طرق ارضروم وطرابزون وارزنجان وما كادوا يطأون ارض الولاية حتى ارسل رشيد اللئيم تابوراً من العسكر لاستقبالهم فحملوا عليهم حملة شنعاء وذبحوهم قاطبة وانقلبوا راجعين باسلابهم الى الولاية يبشرون الوالي القبيح الذكر

ويوم الاثنين ١٢ نيسان القي القبض علي كرابيد طوربنجي إمام الارمن وعلى معلمي مدرستهم وعلى مرديك ويكانيان وزجوهم في اعماق السجن . ويوم الثلاثا ١٣ نيسان قبضوا على نيف وسبعين من وجهاء حي فاتح باشا وساروا بهم الى محل المسافرين (المسافرخانه[1])

(١) كانت المسافرخانه منقم عذاب النصارى والله وحده يعلم ما ارتكب فيها الظلمة من الفظائع والمذابح على انـه في شتاء سنة ١٩١٩ قوضت الزوابع اركانها فلم يبقَ فيها حجر على حجر كانه جلت احكامه اراد الانتقام منها لما جرى بها من ضروب العذابات . فاذا كان سبحانه اجرى ذلك في الابنية فماذا تراه يعاقب القتلة وسفاكي الدماء

وعند المساء اطلقوا من اولئك المسجونين ثمانية توطيناً للنصارى . ويوم الاربعا ١٤ نيسان كبسوا المحلة عينها وقبضوا على ثلاثمائة واربعة عشر رجلاً من اغنياء الارمن الذين دفعوا البدل العسكري واستاقوهم الى السجن . وصباح الغد اكبوا على حي الحصولي وتحلوا مائتي ارمني وساروا بهم الى الوضع المرقوم . واوفد الوالي من فوره الكتائب الى قرى النصارى المجاورة فاغاروا عليهم وقتلوهم واحرقوا دورهم

ولما غص السجن بالمسيحيين انطبق عليهم اعداء البشرية وعلقوا يعملون فيهم انواع العذابات ولم يكونوا يفترون من التنكيل بهم حتى تنهمر دماؤهم على الحضيض فيقصدون غيرهم . اما الوجهاء فجلفوا اظفارهم وبقروا بطونهم وثقبوا يديهم ورجليهم وقلعوا اسنانهم حتى قضى عدد غفير منهم داخل السجن فجروهم في شوارع البلد والقوهم خارجاً

وثالث احد بعد الفصح ٢٥ نيسان اوثقوا ثمانمائة وسبعة رجال بالاغلال والحبال واستاقوهم عند الفجر من باب ماردين باللطم والصفع والشتم والتشنيع وكان في جماعتهم الموسيو كزابيان ترجمان القنصل الفرنساوي فوصلوا الى دجلة واعدوا لهم سبعة عشر كلكاً او طوفاً وسار معهم رشدي بك القومندان والف من الضباط والجنود والجراكسة وما قطعوا من دجلة الا القليل حتى امروهم بكتابة الرسائل الى ذويهم فامضوها وختموها وكان فحواهـا انهم قاصدون الموصل وارادوا بذلك ان يموهوا الحقيقة على اصحابهم لئلا يثبطوا الحكومة بهيجانهم عن مواصلة شغلها ويعطلوا تدابيرها فلا يتيسر لها ان

تدمرهم بلافيتهم . وبعد هذا انطبقوا عليهم وعروهم وقتلوهم في مضيق عشيرة الرما واحتووا على اموالهم وامتعتهم . والقوا على قسم منهم خشب الاكلاك واحرقوهم وانقلبوا الى الولاية مسرعين يوم الثلاثا ٢٧ نيسان ليواصلوا العمل قبل فوات الفرصة

وافضى بهم الخبث واللوم فقبضوا على مطران الارمن الغريغوريين ومضوا به الى باب ماردين واجلسوه على كرسي ليرى شعبه عند مرورهم فيزداد الماً وتوجعاً ثم رجعوا به توّا الى السجن وجعلوا يقبضون على كل من يصادفونه داخل البلدة وخارجها ويسوقونه الى جامع فاتح باشا فيعذبونه او يقطعونه عضواً عضواً او يقلبون عليه زيت البترول ويحرقونه وكانوا يشيرون على ذويهم ليحملوا لهم الاطعمة وعند وصولهم الى السجن كانوا يوثقونهم ويضيفونهم الى اصحابهم

ثم استدعوا قسان الارمن الاربعة ونفثوا فيهم وفي مطرانهم حمة سخطهم وغضبهم واخرجوهم الى الساحة وركبوهم كالدواب وساقوهم وصفعوهم ثم امروهم ان يكنسوا دار الحكومة وهم راكبون فوقهم كما جرى الامر بماردين القس يوسف رباني السرياني معلم المدرسة . وظلوا يعذبونهم مدة ثلاثة ايام ليل نهار واخيراً فوضوا الى الملاوية (المؤذنين) ان يعذبوهم كما يلهمهم الخناس فقاموا بتلك الخدمة طول الليل بالمناوبة ووضعوا جرناً ثقيلاً على هامة المطران واضطروه ان يقفز ويرقص ثم سلقوا بيضتين ووضعوا في كل يد بيضة وارادوه على طبقها حتى تهرّت اللحمان ثم استحضروا مسماراً ضخماً ضربوه في ام راسه حتى نفذ من عنقه واذاعوا انه خولط في عقله واخيراً مضوا به الى ساحة دار الحكومة وقلبوا عليه

زيت البترول واحرقوه وجروه الى المزبلة والقوه فوقها . اما القسان الاربعة فاخذوا بخنقهم حتى صاروا يلعبون كالسمكة في الماء فتراهن الجنود على قلنسوتهم فمن اصابها صفقوا له استحساناً وما زالوا يعذبونهم هكذا حتى قاظوا

وبعد ان استاقوا الرجال وذبحوهم طفقوا يجمعون النساء فاخرجوا طائفة من باب الروم واخرى من باب ماردين واختطفوا الاطفال من احضانهن . وذكر انا جرجس مرجان القصوراني انه لما كان يجول في البرية بزيّ عربي راى في شيركه قافلة سيدات قادمات من دياربكر راكبات العجلات وما بلغن الى تلك القرية حتى امروهن بالنزول ونشموا ينتقون اربعاً فاربعاً الى بئر قريبة فعروهن وقتلوهن على فم البئر وجرجس يلحظهم . وشاهد قافلة ثانية من شيوخ دياربكر ونسائهم واطفالهم في تعليكه واوذي ذبحهم الاعداء قاطبة على فم الابار . فقصد جرجس عند الصباح احداها ودلى الحبل فنشل اثني عشر شخصاً من جملتهم داود بن رزق الله وزير وخاتون بنت يوسف طوراني . وشاهد قافلة ثالثة في عاليه غربي تعليكه ذبحهم الخصوم عن اخرهم والقوهم في البئر فسار عبد القادر بك في اصحابه ونشل منهم زهاء خمسين وادا اغلبهم جرحى فعني بامرهم وعالجهم لكنهم كلهم ماتوا

اما السيد اندراوس جلبيان مطران الارمن الكاثليك فلسبب طمع رشيد في الاستيلاء على ثروته ابقى عليه ردحاً من الزمان . ولما باشر الخصوم يسوقون النساء ساقوه مع ذويه وثلاث راهبات على طريق حلب فوصلوا به الى خان حبش واضطروه ان ينتصب في

طرف الجادة واخذوا الحجار ورجموه كاسطفانس راس الشهدا حتى تكومت الحجار عليه ووارت قامته الا راسه وكتفه الواحدة فامسكوه حطبة وتركوه هكذا يتعذب حتى فاضت روحه الطاهرة بيد خالقها وكان كلما مر المسيحيون بتلك الطريق . قال لهم الجنود « حيدوا زوروا مطرانكم » اما شماسه وكان من اسرة طازباز الماردينية فهجموا عليه وخنقوه داخل الكنيسة والقوه في بئرها وبقي الاب اوسيب متزوياً في دار المسافرين اثنين وخمسين يوماً فاسنى للوالي مائة ليرة ذهباً ونجا من القتل

واعلم ان الخصوم بدياربكر على شديد حنقهم وكيدهم ابقوا على الف ومائتي ارمني بدياربكر جاهروا بالاسلامية . اما الارمن الكاثليك فظل منهم اربعون شخصاً لم يسلموا . واستاقت الحكومة من جماعة الكلدان اربعة وثمانين بيتاً ومن اليعاقبة ستة وعشرين بيتاً واسلم منهم ثمانون رجلًا . واسلم من السريان الكاثليك اسرة شكال واسرة بالي سوى يوسف وامه واخوته . اما دور النصارى وكنائسهم واموالهم فحدث لها مثلما حدث في ماردين فان رجال الحكومة ضبطوها وحشدوا اموال الارمن فيها وتبايعوا عليها

واليك نتفاً من الوان العذابات التي انزلها بالنصارى اعداؤهم على ان كاهن قرية علي بوار الارمني الذي كان عمره خمسة وثلاثين ربيعاً استاقوه الى السجن واستاقوا امراته معه فعروها امامه وركبوا منها الفاحشة مراراً ثم صعدوا به الى السطح ودعوه الى اسفل وقطعوه اما امراته المسكينة فاغمي عليها وفاظت . ثم انهم نعلوا قدمي بوزو النعلبند وثندوتيه بنعال ضخمة حتى قضى اجله . وجلفوا اظفار

ذكران حلوجي عن اصابع يديه ورجليه وضربوه بقضبان رمان طرية حتى اماتوه ونكلوا نظيره بباهو (ابراهيم) القصاب وتكاولوا عليه بالعصي حتى قضى . وعلقوا جاقوجي بكلابة القصاب وسلخوا جلده وقطعوه ارباً ارباً وافتعلوا كذلك بهران بسطجي . وقس على ما صار في دياربكر مذابح النصارى في الابشيرية والجاروخية وسائر القرى وفي سويرك ايضاً فان الاتراك لم يبقوا على نصراني واحد فيها والخلاصة ان النيران اثناء المذبحة كانت تلتهم جثث المسيحيين داخل ولاية الدماء وخارجها

الفصل الرابع

مذبحة ديركه

ديركه قرية الى الجنوب الشمالي من ماردين تكثر فيها الحدائق والبساتين واصناف الشجر ولاسيما الزيتون والعفص وفيها المياه الطيبة والينابيع الغزيرة . اورد ذكرها مورخو السريان في القرن الثامن للمسيح فان اثناسيوس الرابع بطريرك السريان اليعاقبة ٧٥٦ — ٧٥٨ شاد ديراً جليلًا عند تل بدم قرب ديركه ما زالت اطلاله ظاهرة حتى اليوم . وكان في ديركه قبل المذبحة زهاء مائتين وخمسين بيتا من نصارى الارمن والسريان والبرتستان وكان في بيران شمالي ديركه نحو عشرين بيتا من الارمن . واليك تفاصيل ما جرى لهم :

يوم الاثنين ٢٤ ايار اوفد رشيد الطاغية الى ديركه مبعوث الولاية في ضابطين فسار كهنة الارمن والسريان لزيارتهم في دار الحاج اوصمان فتجهموا لهم وكانوا يفتحون العين الواحدة الى القتل

والعين الاخرى الى الاختلاس والخلاعة . وبعد ان عادوا الى كنائسهم اوفد المبعوث في طلب توما بجي الارمني الكاثليكي وتانيل كوبو وكرابيد كركو وبولس ايلو ومراد بابو وبوغي شمامه وجبرائيل قصعه فامتثلوا الامر ما عدا جبرائيل فان ابرهيم صهره ناب منابه

وما وضعوا اقدامهم في الاسكفة حتى اخذ نائب رشيد الخبيث يلسنهم ويجني عليهم في الكلام مدعياً ان عندهم اسلحة فاستمهلوه ليدافعوا عن نفسهم فابى وامر الجنود من ساعته فضربوهم ورفسوهم والطموهم وعقلوا اقدامهم وبالغوا في الضرب حتى ايسوا من المشي فحملوهم الى بيوتهم بين احياء واموات . وبعد ذلك انقلب هولاء الى دياربكر في ٢٦ ايار وغلب على ظن المسيحيين ان المخاوف والاخطار قد زالت

غير ان الحكومة رتبت مجلساً في المكتب تحت رئاسة مصطفى المدير ليتبصروا في الذرائع التي يجب اتخاذها للفتك بجمهور المسيحيين وابتزاز اموالهم وامتلاك ارزاقهم فقرّروا ان يستدعوا نفراً فنفراً لعلهم يصيبون منهم الغرض للايقاع بهم . فانتدبوا جبرائيل قصعة في جملة من انتدبوا كبوار شامي واوسيب ابن اسقف البرتستان واربعة غيرهم فاستخبروهم عن الاسلحة والبنادق فلم يؤيدوا عليهم دعوى فامروهم بالنزول الى اعماق السجن ولبثوا ثم ثمانيـة ايام ينزل بهم اصحاب الذمة ضروب النكال . ثم استدعوهم ثانية وقالوا لهم : قد صدر الامر ان تقتلوا جميعاً فمن ادّى خمسين ليرة نجـا ومن لم يؤدِّ قتل . فسرحوا الذي دفع وابقوا الذي ابى الدفع . واتفق ان المستنطق ومدعي العموم الغريبين جعلا يتعتبان ويدافعان

عن المسيحيين ويشنعان على الخصوم فكتب هولاء الى الوالي حالاً فاوفد الاوامر في وجوب خروجهما عن القرية وذهابهما الى وطنهما. وظل النصارى مسجونين الى يوم الاربعا ٢ حزيران

وليلة الخميس ارسلوا في طلب القس ابرهيم كروم السرياني فسار من ساعته ومكث ينتظر النتيجة حتى العصر فجاء جندي يقول له اننا احضرناك سهوا فانهض وارجع الى مقرّك . ثم استدعوا الاب اندراوس خوري الارمن الكاثليك والاب اوهنيس خوري الارمن الغريغوريين فاستنطقوا الاخير وسرحوه وتركوا الاول في موضعه فرفع الى الجمعية رقعة كتب فيها « بما اننا غداً الخميس معيدون فاسترحم ان تاذنوا لي في الذهاب الى كنيستي لاقضي فروضي » فاذنوا له . كل ذلك ليكشفوا الفزع عن قلوب المسيحيين ويطمنوهم

ويوم الاثنين سابع حزيران قبضوا على توما بجي وجيه الارمن الكاثليك وعلى اخيه وعلى انطون قليونجي وعبد المسيح كراكوس وغيرهم وكبسوا كنيستهم عند الظهيرة وفتشوها وفتشوا اوراق الاب اندراوس وساقوه الى السجن وانتابوا الى كنيسة السريان الكاثليك فبحثوا فيها بحثاً عميقاً وتهـددوا القس ابرهيم كروم وحنقوا عليه واهبطوه الى جب الكنيسة يريدون ان يستخرج منه اسلحة . ولما سحبوه ولم يعثروا على شيء القوا حبلًا في عنقه وساقوه بعنف حافياً ونشموا ينتفون لحيته البيضاء وجبلوا رماداً لطخوه في وجهه ثم وضعوا على راسه طبقاً مملوءاً حجـارة وركبه احدهم وجعـل يسوقه وتجمهر الاعلاج والمجـايا واخذوا يحصبونه ويرجمونه ويستهزئون به حتى اوصلوه على تلك الهيئة المفجعة الى دار الحكومة فتنـاوبوا

في ضربه ودفعه احدهم الى اسفل فتخلخلت اعضاؤه وكادت تزهق روحـه

ويوم الثلاثا ٨ حزيران القوا القبض على القس اوهنيس وعلى ابرهيم معلم البرتستان وبسطوا الايدي على عامة المسيحيين واستاقوهم الى السجن وعند الغروب استدعوا الاب اندراوس وحاكموه وانزلوا به اعنف ضرب واعادوه الى السجن وقصدوا القس سعيدا السرياني اليعقوبي فنتفوا لحيته ورفسوه وضربوه . وضربوا توماس بجي تسعين ضربة ونادوا جبرائيل قصعه وسطحوه على الحضيض ووقف واحد عند راسه واخر عند قدميه وتناوبا في ضربه حتى أُغمي عليه ثم صاحوا بيوسف اخي توماس وجعلوا يضربونه وضربوا غيرهم ايضاً واخيراً التفتوا الى الكهنة الاربعة ونشموا يبصقون عليهم ويلطمونهم ويضربون بهم الجدار ويتفحشون عليهم في الكلام . وعند ذاك اقبل مصطفى القائمقام في رجال الحكومة يتفرجون على مرسح العذاب والتفت يقول لجبرائيل قصعه[1] هل ضربك احد . قال . بلى . قال قم ارجع الى محلك

وظل المسيحيون في السجن ثمانية ايام ينزل بهم اصحاب المروءة اشكال العذابات كنتف الشعر وجلف الاظفار وتسمير الاعضاء وتفقئة العيون وجلد الاجسام حتى تضرجت الارض بالدماء وتمادى الخصوم في التنكيل والتعذيب حتى الاحد ٢٠ حزيران فطفقوا يستدعون عشرة فعشرة ويذهبون بهم الى محل قريب من خواروك فينكالون

(١) عنه وعن غيره نقلنا حوادث دير كه

عليهم ويعرونهم ويقتلونهم وياتون باسلابهم الى القائمقام . اما الكهنة فخنقوهم داخل السجن يوم الاحد ٢٧ حزيران ووضعوهم في خرجين في كل خرج اثنين ومضوا بهم الى شمالي القرية وانقلبوا راجعين بثيابهم

واقبل في تلك الغضون ضابط من دياربكر فامر المنادي ان ينادي بالعفو عن المسيحيين غير انه اجتمع ليلاً بخليل بن ابرهيم باشا والياس الحاج اوصمان وجميع المشايخ وقال لهم اياكم ان تدافعوا عن احد النصارى والا صدر الامر بقتلكم نظيرهم . فاذا كنتم ممن يحب الدولة ويخلص لها الطاعة لزمكم ان تنشطوا لقتال عامة المسيحيين . فقاموا من فورهم وطفقوا يجولون في الازقة ويقبضون على كل من يشاهدونه ويسوقونه الى السجن فازداد الخوف وانصدعت الافئدة . وكان هداية افندي يكتب اسماء المسيحيين ويعرّيهم ويحفيهم وينزلهم الى السجن . وحضر اذ ذاك فيمن حضر نصري النجيم فلطمه جندي لطمة ذهبت بعينه الواحدة ثم سمر اذنه في الجدار وتركه كذلك ليلته كلها . ثم وافى هداية افندي الخبيث والقى حبلاً في عنق توماس افندي وخنقه واغلق الباب وانقلب راجعاً . فاحضر الجند خرجاً وضعوه فيه وساروا بـه الى كافره كر والقوه ثم رجعوا

وصباح الإثنين ٢٨ حزيران قصد وكيل رشيد الطاغية محل المسجونين واخذ ورقة الاسماء من هداية وجعل يستدعي واحداً فواحداً فسرّح الشيوخ وترك الشبان والكهول فاوثقوهم صباح الغد واستاقوهم الى زناره سعور فقتلوا قسماً منهم وابعدوا بالقسم الاخر الى محل

ثانٍ فتفتكوا بالجميع وعادوا بالاسلاب

ولم يبق اذ ذاك في السجن سوى ثلاثة وعشرين شخصاً فاطلقوا منهم ستة عشر وتركوا البقية فاتفق اذ ذاك انطون قليونجي ونصري انجيم ويوسف الدياربكري على دفع ثلاثين ليرة الى كركوش الارمني وكيل الصندوق ليسعى في اخراجهم فخرجوا وخرج معهم جميع المسجونين ما عدا جبرائيل قصعه فظل وحده في السجن . وبعد يومين احضر الخصوم الى الحبس عبد المسيح جولخ بعد ما قبض منه وكيل الوالي خمسين ليرة فشد عليه هداية الظالم بعد ليلتين وغلل رجليه وانزل به الضربات الشتى حتى صاح الموت وضرب عبدال انجو الارمني وامر اربعة جنود فحملوا عبد المسيح وعبدال الى الغاب القريب وقتلوهما بين اشجار الزيتون

اما جبرائيل قصعه فاختلى به ابرهيم النصيبيني وكلش الزازا وقالا له ان دفعت لنا شيئاً من الذهب اطلقناك والا قتلناك كما قتلنا اصحابك النصارى فاستمهلهما جبرائيل الى الغد . وعند الصباح اقبل اليه هداية واستخبره عن حاله فقال له قتلي خير من بقائي . فاسرّ اليه هداية بان القائم مقام حرّج على الجنود التعرّض له . فافاده ان ابرهيم وكلش صمّما على قتله ليلة امس فصاح بهما ووبخهما وقال لهما حذار ان تبسطا اليد اليه لانه سرياني لا ارمني.

وبعد ايام قليلة عاد الجنود يقبضون على الذين سبقوا فسرحوهم وما اقاموا في الحبس اربعة ايام حتى استاقوهم جميعاً وذبحوهم واطلقوا جبرائيل على شريطة ان يشتغل الصابون للعسكر مجاناً . وفوض اليه هداية ان يجمع له سراً ذهباً وفضة من بقية النصارى.

غير ان الحكومة كانت تلاحق عملها فتقبض وتسوق وتفتك بالنصارى والا بقي منهم عدد يسير نادى المنادي بالعفو واستدعاهم رجال الحكومة ليكتبوا اسماءهم ويطلقوا لهم الحرية على قولهم ليستأنفوا شغلهم فالذي سار ليكتتب قبض عليه والذي بقي بقي محتجباً حتى ليلة عيد رمضان فوثب العسكر على الدور واستاقوا الجميع صباح العيد على طريق الفراشية فنزعوا ثيابهم وقتلوهم عن اخرهم . وقصد القتلة في الغد قوم من الاجلاف فالفوا اناساً بين احياء واموات فاثخنوا فيهم وقتلوهم وانقلبوا يبشرون اولي الامر بانجاز العمل

وثالث العيد هجموا البيوت وقبضوا على عدة نساء وبنات واستاقوهن الى كورنا وهتكوا سترهن وقتلوهن وكانت والدة كركو زياني في جملتهن فمضوا بها الى بستان قريب وعلقوها في غصن شجرة واخذوا شفرة ضخمة فبخوها شطرين وتركوها معلقة

وبقي جبرائيل يشتغل زماناً في ديركه حتى استدعاه القاضي والمفتي وقالا له اننا دلالة على حبنا لك نشير عليك ان ترحل الى الشعب لتكتسب ثم الرزق لك ولعيالك والا فاذا لبثت ههنا اغتالتك ايدي الاجلاف واودوا بحياتك وحياة عيالك فسار جبرائيل في اهله الى تلك القرية ومكث بها ثلاثة اعوام ثم شخص الى ماردين فكان اول من القي عليه القبض واخر من افلت من القتل وصرف جبرائيل العناية في انجاء نفر من المسيحيين الذين سباهم الاكراد كبنت انطون قليونجي ورافائيل قلو وسوسان اخته وفهيمه كاتو وغيرهم . اما تانو النصراني فانه لسوء الحظ هجر دينه حرصاً على دنياه ويمم ماردين فلقيه يوماً ابن حمو اليونس واستخبره عمن بقي من النصارى في ديركه

فقال له انهم قتلوا باجمعهم فقال له ابن حمو اعلم يا تاثو اني بيدي هذه التي ستاكلها الدود قد ذبحت سبعة وعشرين نفساً ولو صعد بيدي لاتلفت النصارى بلفيفهم

الفصل الخامس

مذبحة ويران شهر

ويران شهر بلدة قديمة (هنا ص ٥٩) عرفت سابقاً بتل موزل وهي وطن سرجيس اول بطاركة السريان اليعاقبة ٥٣٨ — ٥٤١ وبقيت تلّ موزل في حوزة الروم حتى ظهر المسلمون فملكوها مع ما ملكوا من بلاد ما بين النهرين

وكانت النصرانية شائعة فيها تدلّ على ذلك اثارها وانقاضها . وفي اوائل القرن التاسع عشر هجر اليها قوم من نصارى الرها وماردين وسويرك . وكان ابرهيم باشا الكردي في زمانه يحسن معاملتهم ويشير عليهم ان يبنوا الدكاكين والدور فراجت اسواق التجارة فيها وكثر العمران . وابتنى فيها الارمن الكاثليك كنيسة كبيرة على اسم يوحنا المعمدان انجز بناءها الورتبيد اسحق حولوزو سنة ١٩١١ وفيها للسريان الكاثليك ايضاً كنيسة باسم مار افرام . وكان فيها مصليان ايضاً للارمن الغريغوريين واليعاقبة اما عدد النصارى فكان زهاء ستمائة بيت اغلبهم من الارمن الكاثليكيين

وبعد اعلان الحرب المشؤومة باربعة وعشرين يوماً اضطر قائمقام ويران شهر جميع النصارى ليحضروا الى ماردين ويكتتبوا كما سبقنا فوصفنا ذلك في يومه (هنا ص ٩٤) ولبث المسيحيون مثقلين بالمظالم

والغائنات حتى اول ايار ١٩١٥ فكبسوا كنيسة الارمن عند فحمة الليل واخرجوا الورتبيد اسهاك حولوزيان رئيسها خارجاً واستقصوا البحث عن السلاح مدة ثلاث ساعات فلم يجدوا شيئاً . فاستاقوا الورتبيد الى المحكمة واستنطقوه فلم يثبتوا عليه حجة البتة فصرفوه وقصدوا في ٢ ايار كنيسة السريان الكاثليك وفتشوها ولم يصادفوا شيئاً . فكتب القس جبرائيل مناشي الى رئيسه السيد جبرائيل تبوني الجليل يطلعه طلع الامر . وتبادر الى ظنه وظن الورتبيد ان تلك السحابة الكثيفة قد انقشعت وانهما قد تملصا من كل تبعة ودرك ولكن . . .

وثالث عشر ايار ارسل رجال الحكومة في طلب وجهاء الارمن مثل اراكيل وطاطيوس وماردو وعمسيح الفرنجي ووجهاء السريان الكاثليك كبطرس رومي ويوسف اخيه وابرهيم قريو مدعين انهم من الجمعية الارمنية المسماة (فداوية) ولما وصلوا الى دار الحكومة اندفع سفير والي دياربكر الطاغية يقول لهم : قولوا لي ما اصنع بكم . هل اسمركم بالمسامير ام اقتلكم قتلاً . ام اخلق عيونكم وافقئها . ام اجلدكم وانزل بكم اغلظ العذاب . فقال له ضيا بك راس الضباط الاجدر ان نصوب نحوهم الرصاص ونقتلهم لكن السفير نذير الشؤم بعد ما بكتهم وعنفهم صفع كلا منهم صفعات شتى وامرهم ان يلزموا السجن ريثما يتفق مع عصابة الشرور والمفاسد كضيا المذكور واحمد رجب رئيس البلدية والملاخيل وحسين الموصلي واولاد ابرهيم باشا وغيرهم على اتخاذ الوسائل اللازمة للفتك بارواحهم قاطبة

ويوم الثلاثا ١٨ ايار طفق الجنود يجولون في دور الاغنياء والوجهاء ويقبضون عليهم ويسوقونهم الى السجن في ضرب وشتم كثير وقصدوا دار عبد الاحد صلبو السرياني وجعلوا يفتشون لعلهم يعثرون على شيء من الاسلحة . وانزلوا نفرًا الى البئر فأخرج علبة كبيرة ممتلئة من الرصاص كان عبد الرحمان جاويش الخبيث قد سبق فالقاها فيها انتقاماً من عبد الاحد عدوه كما اقر بلسانه . ولما رأوا العلبة قالوا لعبد الاحد كيف ادت بك القحة الى ان تخون الدولة هل تروم مقاتلة رجالها العظام ببنادقك وبواريدك . قالوا هذا وجعلوا يكفخونه باعواد الخيزران وقضبان الرمان على ظهره وصدره حتى تكسرت القضبان . ثم سحبوا سفافيد ستور البيت وواصلوا الضرب حتى اعوجت والتوت . فامسى عبد الاحد على اخر رمق وتضعضعت اعضاؤه وتكسرت عظامه وسالت دماؤه . وبعد هذا حملوه على ايديهم الى دار الحكومة . فلما رآه الياور حدد النظر اليه وزمجر ساخطاً عليه ثم رفسه برجليه ودفعه فتدحرج من علوّ الدرج الى اسفل . وكان كل جندي من الجنود الواقفين في الدرج يرفسه ويعجله الى الآخر حتى انتهى المظلوم الى اخر درجة فاخذه بستاني الباشا وصفعه ثلاثمائة ضربة وكان رجال الحكومة واقفين يضحكون ظهرًا لبطن . ثم امر الياور ان يردوه الى بيته لتراه امه وامراته واخته . فحمله تسعة رجال والدماء تتدفق من عينيه واذنيه وقدميه وجميع اعضائه . فلما راته امه خولطت في عقلها . اما اخته فما تمالكت ان قالت لهم علام احضرتموه . لماذا لم تقتلوه بالمرّة وتواروه عنا . فتحسر عبد الاحد وقال بصوت

خافت : كونوا على ثقة اني بري مما اتهمني هولاء الغدرة . فانا قد قضي قضاي وعما قليل يدركني اجلي . اما انتم فاحرصوا ان يصيبكم ما اصابني . وبعد ذلك بدقائق حملوه تكرارًا الى السجن

وعند المساء سارت اليه اخته حبو لتتعهده فلم ياذن لها البواب الا بعد ان دفعت له اربع ليرات . واخذت معها جلد عنز لفت به اخاها وعادت فرات ثلاثة عشر جنديًا واقفين على الباب يقولون ادفعوا لنا ما بقي عندكم من السلاح . فقالوا لهم كذبت ظنونكم ليس عندنا شيء مما توهمون فاندفعوا يضربون النساء بالمناوبة ويحمون السفافيد ويكوونهن . واخيرًا اوثقوا الام وابنتها وجعلوا يكفخونها ويضربونها ويقولون . ان عبد الاحد افادنا انه لا يعرف احد بمخزن الاسلحة سواكما . فاكدتا لهم ان قولهم افك صريح لا صحة له . فاخذوا منهما خمساً وثلاثين ليرة وانصرفوا . فارسل ضيا بك يقول لهما ينبغي ان تتاكدا اني انا الذي اثرت الجنود ليضربوكما وسيواصلون العمل حتى ترسلا الي جميله قرينة عبد الاحد والا قُتلتما كلتاكما . فسارت اليه جميله وقالت له اعلم ان قتلي وقتل حماتي وحبو خير من الاجابة الى طلبك . وتيقن ان لا سلاح عندنا ثم عادت الى بيتها وفي ٢٨ حزيران ارسل في طلبها اليه وتهددها بالقتل وحرّج عليها الرجوع الى بيتها

ويوم الخميس ٢٠ ايار ارسل عبد الاحد في طلب اخته وقال لها اني احمد الله تعالى لان نفسي تراجعت وقد نلت العافية فخذي يا اختاه ثيابي الى احدى النساء لتغسلها ولا تريها امي لئلا تجن او تفقد عقلها . فاخذت حبو الثياب فاذا هي مضرجة بالدماء واندفعت

تبكي بكاء اليأ . ثم ودعت اخاهـا وسارت بالثياب الى امراة غسلتها وردتها اليه . وفي ٢٢ ايار استحضروا عبد الاحد للاستنطاق فقال لاخته اتبعيني ولا باس عليـك ان ينالك ما نالني من الضرب فاني اخوك . فدمعت اخته وتبعته وظلت واقفة عـلى الباب تنتظر النتيجة . ولما رآه الياور تجهمه وقال اه علي بالسلاح . قال عبد الاحد ليس عندي سلاح وقد وضعت دمي في كفي وما عدت اؤمل الحياة فاضربوني واقتلوني فان البري يبريه الله الصمد . قال الياور اخرجوا هذا الكافر الخائن فاني لست اطيق ان اشاهده . فخرج المسكين ذليلاً مأيوساً . فامسكته اخته ونزلت به الى موضعه . وقالت له : اخي المحبوب ارى سيف الموت فوق راسك يتهددك . فحذار ان تيأس او تقنط . حذار ان تنكر ايمانك . استودع نفسك بـين يدي يسوع ومريم ويوسف . فقال لها يا اختي اني على ما قلتِ لن اخون ربي وهو القادر ان يعضدني ويشجعني لانه عارف ببرارتي

اما الورتبيد اسحق رئيس الارمن الكاثليك فبعـد ان باغته الجنود يوم السبت اول ايار وفتشوا غرفتـه وكنيسته وسجنوه ثم اطلقوه كبسه في ٢٧ ايار احمد اونباشي وعبد الرحمان جاويش وضابط آخر يقولون له ان ابن رومي يدعوك فنهض من ساعته وسار الى دار الحكومة ينتظر النتيجة ولما امست جاء اليه عسكري يقول قد أرجئت مسئلتك الى الغد فابعث في طلب فراش لتنام ههنا . فقضى ليلته تلك ضيفاً كريماً عند النصارى . وصباح الغد استدعوه واستنطقوه فلم يجدوا حجة للتمثيل به فردوه الى السجن ولكنهم لم ينكلوا به . غير ان السهر سُلط عليه والنوم امتنع منه فاغتنم الفرصة وجعل

يسلي المسجونين ويرطب قلوبهم ويبعث فيهم النخوة والحماسة ليتجلدوا على العذاب والاهانة ويثبتوا الى آخر رمق في قويم ايمانهم

ويوم الجمعة ٢٨ ايار استاق الجنود اراكيل وطاطيوس وماردو ورفاقهم المشار اليهم الى الفاور وفتكوا بارواحهم . ويقصر اللسان عن وصف ما الم بهولاء المساكين من صنوف العذابات الفادحة فان الجنود كانوا يتناوبون يومياً في ضربهم وتعذيبهم واراقة دمائهم . وتاييداً لشديد الامهم نقول ان فراشهم وثيابهم حتى صحن الغرفة التي كانوا منزوين بها امست كلها متعصفرة بدمائهم ذلـك لان الاعداء المنافقين رفعوا كل رحمة وشفقة من قلوبهم فبالغوا في التنكيل والتمثيل بهم حتى لحقت الدماء بالدماء (هوشع ٤)

ومساء الاربعاء ٢ حزيران ارسل عبد الاحد في طلب امه واخته وقبل يدي الام وعانق الشقيقة وبكى حتى أخضل خديه بدموعه وبكت لبكائه امه واخته . ثم قال لهما ارغب اليكما ان تصونا قرينتي قدر مكنتكما . اصرفا كل مالي فهو فداوكما . . ان لي عند الخوري افرام احمر دقنه باردين اثنتين وعشرين ليرة دفعتها اليه منذ اشهر فاقبضاها منه . اليك يا اختي هذه الورقة فاني قد سطرت فيها ما لي وما عليّ وهي آخر ورقة اكتبها . . واهاً لكِ يا اختي العزيزة اني افارقك بقلب جريح وفؤاد كسير . اتخذي لك حذاء من حديد وعصاً من فولاذ وتقفيني فانك ما عدت تشاهديني الا في الابدية يوم الدين الرهيب . اودعك واودع امي وجميع اهـلي واصحابي . . وبعد هذا عادت الام الثكلى والشقيقة الحزينة الى بيتها وجلستا للبكاء والعويل واستيقنتا ان عبد الاحد غاب عنهما الى الابد

وليلة الخميس ٣ حزيران سيق عبد الاحد مع ثمانية رجال الى بوغري وفيها سفكت دماؤه مع دمائهم وراحوا ينالون الجزاء المعد للابرياء الامناء

وصباح الخميس عيد الجسد استاقوا الورتبيد اسحق حواوزو الى دياربكر راكباً يكتنفه ستة من الضباط . ولما شارف البلد ابصره قوم من النصارى فحيوه تحية السلام فلم يجبهم . وكان عارفاً بما سيعرض له . ولما وصل الى موضع المسافرين خصت به غرفة سكنها خمسة عشر يوماً منتظراً الفرج على اي اسلوب كان . ويوم الثلاثا خامس عشر حزيران مضى به الجنود الطغاة الى تل قريب وفتكوا به . شلت يمينهم وعميت عيونهم

يا نفس مالكِ في الدنيا مخلفةً	من بعد رحلته عن هذه الدور
وكيف تمشين فوق الارض نافلةً	اليس جثمانه فيها بمقبور
حقٌّ على كل « خلٍّ » ان يموت اسى	لكن ذلك امرٌ غير مقدورِ
يا نفس فاتئدي لا تهلكي اسفاً	فانت منظومة في سلك ممذور

ويوم الاثنين سابع حزيران انتشر الجنود كالجراد في اسواق ويران شهر وبيوتها والقوا القبض على الرجال والفتيان من سن الثانية عشرة الى السبعين واستاقوهم قاطبة الى الثكنة العسكرية . وراح ثلاثة الى كنيسة السريان فقبضوا على القس جبرائيل مناشي احمر دقنه وجعلوا ينتفون لحيته وشاربيه ويخطلون له في كلامهم ويضربونه بشراسة ويقولون له « انت فرنساوي تحب فرنسا وتصون لديك كتبها وتحامي عنها . فهلم الى السجن تَرها مستعدة لتخلية سبيلك » ثم

بلغوا به الى الثكنة في حال يبكي لها الجماد وضموه الى رفاقه النصارى وعند الليل اقبل احد الجنود وبيده دقاقة كبيرة وشم يضربه بقسوة ضربات شتى حتى تكسرت عظامه ثم التفت يقول للنصارى المسجونين . من منكم يفديه ؟ فتحمس الشاب عبد النور الارمني وقال: روحي فداه فتركه ذلك الظالم الكافر على اخر رمق واندفع يضرب الشاب عوضه وكان كل من الجند يضرب من يشا كيفما شاء . واحتشد تلك الليلة في السجن اربعمائة وسبعون من ارمن وسريان ويعاقبة عذبوهم قاطبة من دون ان يفرطوا منهم احداً

وعند الغروب سار حسين الموصلي في خمسين عسكرياً الى كنيسة السريان الكاثليك وفتشوها ثم اوصدوا الابواب ودفعوا المفاتيح الى منش اخت القس يقولون لها احترسي على ما في البيعة واذا فقد شي الزمناك به . وما مضى من الليل ثلثه حتى اقبل اليها القائم مقام والقاضي وضيا بك ومدعي العموم فنبحثوا ونقروا ثم اغلقوا الابواب وانقلبوا

وليلة الخميس عاشر حزيران اشتغل الجنود بربط المسجونين وغلهم حتى الفجر ثم ساقوهم حفاة اربعة اربعة الى حفتاله وذبحوهم وقتلوهم جميعاً . وحملوا ثيابهم كلها على الحمير والجحاش وعادوا بها الى البلد واقتسموها كل حسب وظيفته وقدر جهاده وخيانته . وقد ايد لنا غير واحد ان ايوب بن حمزة اغا اقر مراراً شتى بانه هو الذي قتل بيده الخبيثة القس جبرائيل احمر دقنه فاصيبت عينه بالعمى جزاء لقسوته وفظاظته

ويوم الجمعة ١١ حزيران واصل الاعداء شغلهم فالقوا القبض

على النسوة المثريات كاسرة اراكيل وماردوميرو وطاطيوس ومريو وكيخوا وتنبل وسهدو وزابون ويوني وشد وكركو والوس وغيرهم كثيرات من نساء وصبيان وفتيات حتى بلغ مجموعهم نيفاً والف نسمة واستاقوهم قاطبة الى المغاور وعروهم وذبحوهم وفقأوا عيون البعض منهم ولاسيا عيني مارتا بنت الياس كيخوا واحضروا ثيابهم وامتعتهم على ظهور الجحاش وتقاسموا بها قسمة ضيزى

ويوم الاثنين ١٤ حزيران استاقوا قافلة ثانية من النساء ما افرطوا واحدة منهن في قيد الحياة واستحوذوا على امتعتهن . ويوم الاربعاء ١٦ حزيران شدوا على قافلة ثالثة وافتعلوا بها ما افتعلوا بالاثنتين السابقتين

ثم استاقوا من بقي من نساء الارمن الى راس العين واستحوذوا على اموالهن واستباحوا بيوتهن واملاكهن

ثم تعجلوا الى النساء السريانيات كاثوليكيات ويعاقبة واخذوا منهن كل حلية وذهب ووعدوهن بالبقاء في بيوتهن . ويوم الاحد عشرين حزيران عاود رجال الحكومة الهجوم دفعة ثالثة على كنيسة السريان الكاثليك وجمعوا كل ما كان فيها من غال ورخيص واختلسوا من غرفة القس جبرائيل ما بلغت قيمته نيفاً ومائة وعشرين ليرة ذهباً واخلوا الكنيسة وجميع الحجر وانصرفوا يقتسمونها بينهم كغنائم باردة

ولم يبق من النصارى في ويران شهر سوى بعض نساء من يعاقبة وسريان كاثوليك وثلاثة رجال شيوخ لا غير . وطفق المسلمون يؤذنون يومياً في الكنائس واستحوذوا على الارواح والاملاك

والاموال معاً . . الا يا ايها الخونة وسفاكو الدماء الغدرة اذكروا انكم « اكلتم ولم تشبعوا شربتم ولم ترتووا اكتسيتم ولم تستدفئوا » (حجاي الفصل ١) .ونختم هذا الفصل بما كان يقوله ارباب الحكومة يوم قبضوا على الارمن والسريان معاً ونصه : ان لا فرق بين الكلب الاسود والابيض فان النصارى قاطبة كلاب يجب ان يساقوا ويقتلوا كالكلاب ـ بشر المنافقين بان لهم عذاباً اليماً (سورة النساء)

الفصل السادس

مذبحة راس العين

راس العين بلدة قديمة شهيرة على ضفاف الخابور كانت في حوزة ملوك الروم ثم ملكها عرب ربيعة وسكنها النمر بن قاسط وفي اواسط القرن السابع دوخها المسلمون وامتلكوها وكانت اسواق النصرانية رائجة فيها واشتهر فيها من السريان عدة مطارين اما في ايامنا فتغلب عليها الجركس ولم يكن بها من النصارى في هذه الاثناء سوى جماعة معدودة

على ان البارون مكس ابناهيم الالماني قصدها قبل الحرب واكتشف فيها على عتائق شتى من حجار ودمى . وكان البارون المشار اليه يوم اعلان الحرب الطاحنة ضيفاً لدى السيد اغناطيوس مالويان فأعزه جداً واطلعه على فوائد كثيرة منوطة باخبار ما بين النهرين واليك ما جرى في تلك الناحية اثناء النازلة الجائحة

عرفت ايها العزيز مما قدمنا ان حكومة ماردين ودياربكر ساقت النساء الى راس العين فحلب فبلاد سوريا ولبث من المسيحيين

في تلك البلدة زهاء مائة من الرجال والنساء والاولاد وكان القائممقام طيب الاخلاق مفطورًا على الرقة واللطف والرفق فاحسن معاملتهم والقى القبض على ثلاثة من الجراكسة الظلمة وبالغ في ضربهم حتى فزّت الدماء من يديهم وقدميهم واخيرًا سرّحهم وحرج عليهم التعدي على المسيحيين

ولما كان ايلول ١٩١٥ بدات تتوارد القوافل من سيواس وغيرها فوصل اولاً الى راس العين في سلخ ايلول زهاء الف وخمسمائة من الارمن عراة حفاة وكانوا لمزيد سغبهم ولغبهم يصرخون الماء لا غير . ولما بلغوا الى النهر لاثنين شربوا بغزارة فمات منهم نحو مائتي نسمة . وفي الغد استلمهم عسكر دير الزور واستاقوهم في شتم وقدح وضرب ولطم فقتلوهم باجمعهم واستولوا على ما عندهم

ومذ ذاك كان النصارى يتوافدون قوافل قوافل في القطار الحديدي من ازمير وقونيه وانقره ودرتيول ومرعش وعينتاب ومرسين والزيتونه وغيرها بلغ مجموعهم نيفاً وسبعين الف نسمة في قسانهم واولادهم ونسائهم ومتاعهم ونصبوا لهم خيماً في ضواحي راس العين كانهم يتوطنون بها . وما مضى عليهم اسبوعان حتى ساقوا منهم اربع قوافل كبيرة اثنتين الى نواحي دير الزور واثنتين الى نواحي الوصل فوصلوا الى المحلين سالمين واوفدوا رسائل الاطمئنان الى ذويهم المتبقين براس العين

وفي اواخر كانون الثاني ١٩١٦ عزل هذا القائممقام الطيب الذكر ونصب بدله متصرف وقائم مقام اسمه رفيع بك وكانا كلاهما جركسيين فاستقبلهما جراكسة راس العين احسن استقبال وقدموا

لهما الاكرام وخلعوا عليهما الخلع . ولم يمرّ شهر حتى اصدرا الاوامر في سوق جميع الارمن من دون كسوة ولا قوت دع الاثقال والامتعة فقصدهما وجهاء الارمن واستوضحوهما عن السبب فقال لهم القائم مقام . اني ما حضرت الى راس العين الا لكي اشخصكم الى اوطانكم . فاستعدوا للرحيل فاطمأنت افكار الارمن وانقلبوا يهيئون اللوازم للسفر

وفي اوائل اذار ١٩١٦ استدعى القائم مقام ثلاثين من الجراكسة الاشرار القساة يراسهم حسين بك وسار بهم الى منازل الارمن فاحاطوا بخمسين خيمة وامروا سكانها بالتاهب للرحيل من دون شي فنهضوا من فورهم صاغرين فاستاقوهم الى الخابور وجعلوا يضربونهم بالعصي ويكفخونهم ويلطمونهم حتى وصلوا بهم الى الجرجب وهناك ذبحوهم عن اخرهم واحتووا على ذهبهم وثيابهم وانقلبوا راجعين الى تلك الخيم فجمعوا الاسلاب وساروا بها الى السفح واذاعوا على مسامع النصارى المتبقين انهم يوصلونها الى اصحابها

وبعد خمسة ايام افرزوا من الارمن خمسين خيمة اخرى واستاقوا كل من كان فيها الى الجرجب وافتعلوا بهم ما افتعلوا بالسابقين . وواصلوا ذلك العمل اسبوعاً فاسبوعاً حتى قتلوهم عن بكرة ابيهم واخذوا جميع نقودهم وذهبهم وامتعتهم وحملوها الى السفح وجعلوها كلها في غرفة احكموا اغلاقها وانقلبوا

ولم يبق من اولئك السبعين الفاً سوى اشخاص مشردين فرّوا من انياب الجراكسة . فامر القائم مقام ان ينادي المنادي . أن من

اسلم سلم ومن لم يسلم قتـل ولم تكن حضرته الشريفة تأذن في ذلك الا لنفر فنفر حتى اذا حذق اصول المذهب الاسلامي وبرع فيه اسلم غيره نظيره

وكان متصرف دير الزور قد ارسل في تلك الاثناء زهاء مائة بيت الى راس العين وفوض اليهم ان يشيدوا بيوتاً يثوونهـا . ولما اقبلوا باشروا في البناء واكملوه حتى السقف وامسوا ينتظرون الخشب لانجاز العمل . فهولاء لما سمعوا المنادي يعرض عليهم الاسلاميـة كتبوا الى القائم مقام واعلنوا انهم يريدون الانضمام الى ذلك المذهب فقال لهم : اني عارف انكم مسلمون نظيرنا فـلا حاجة الى عرض حال ولا الى استدعاء . وها اني باعث في استحضار احمد افنـدي كاتب النفوس ليحرر اسماءكم . فمن كان في السن الجندية اضيف الى رفقته . اما الباقون فيسرّحون ليفلحوا ويواصلوا شغلهم بحريتهم

غير انه صباح عيد القيامة ١٩١٦ وثب بهم الجنود والجراكسة معاً واوثقوهم بالحبال واستاقوهم الى الجرجب الصغير فافرزوا الرجال من النساء والفتيـان وجعلوا ياخذون خمسة فخمسة يفتشونهم ثم يسلمونهم الى العرب المنتظرين بالوادي القريب فيستلبون مـا بقي ويقتلونهم . ولما انهوا قتل الرجال نشبوا في تعرية النساء والاطفال وتفتيشهم ثم دفعوهم الى العرب فذبحوهم واستبقوا غير واحدة من الحسان . ولم ينج من اولئك المظلومين الا ابن بنت يعقوب كشيش الماجني . هذا انهزم الى الجرجب الكبير واخبر عما جرى لأصحابه واستلي يقول : ان الجراكسة احتووا على ذهب كثير وامتعـة وافرة ثمينة . وفي الحق اليقين ان القائم مقام وحده بلغت حصته اكثر

من اربعين الف ليرة . على ان الخواتم والسلاسل الفضية والذهبيـة وما شاكلها من الحلي وزعت بينه وبين الجراكسة بالطسات وبما ان التوزيع كان يصير غالباً تحت الليل كان الجراكسة الختارون لشديد صلابة قلبهم وتوحشهم ينتقون فتى سميناً ويمضون بـه الى مخزن الذهب والامتعة فيحرقونه بدل المصباح ويقتسمون على ضوءه بالغنائم تفادياً من الكلفة والصرف . افتح يا صاح افتح اذنيك واصغُ ثم قل لعنة الله على كل كفور يطغو

ولم يبق في راس العين سوى عشرين بيتاً من الارمن من ارباب الصنائع . وافلت من القتل واصف افندي الارمني مامور التبغ فانـه استحصل وثيقة باسم سرياني يعقوبي فابقى رجال الحكومة عليه وعلى عياله حتى تشرين ١٩١٨ فسافر الى بغداد

وفي اول ايار ١٩١٦ وفدت الاوامر من العاصمة في سوق الارمن المتبقين وقتلهم فالقوا عليهم القبض واوثقوهم واتقوا معهم عبد الجليل برغوث المارديني وحشروهم في الدور التي شادوها ثلاثة ايام فاستفرص عبد الجليـل الفرصة وفرّ منهزماً فتتبعه قوم من الجنود والجركس والعرب واطلقوا عليه البنادق ولما ادركوه انزلوا به وجيع الضرب حتى أغمي عليه ثم حملوه الى المحل السابق واضافوه الى اصحابـه واقاموا لحراسته جندياً خصوصياً . غير ان رشيدا الديري اقبل عند الغروب واستدعاه وقال له اذهب في سبيلك فشكر له عبد الجليل وعاد الى بيته . وسحر الغد استاقوا اولئك الارمن برمتهم وعروهم وقتلوهم واستولوا على ما كان عندهم واستراحوا .

الفصل السابع

مذبحة دير الزور والشداده

دير الزور بلدة على نهر الفرات تجددت ابنيتها في اواخر القرن الماضي وانتقل اليها قوم من النصارى قصد التجارة اغلبهم من مدينة ماردين وهم من الطوائف الثلاث الارمنية والسريانية والكلدانية ولكل طائفة كاهن يرعاهم اما شؤونهم البيعية فمنوطة برؤساء ماردين الروحيين. واليك ما جرى في تلك البلدة عام ١٩١٥ و١٩١٦

في اواخر تموز ١٩١٥ ورد الخبر من راس العين الى جرجس سعيد كجو ان اهله واسرة ترزيباشي وبطانه يطلبون حضوره اليهم فراجع المتصرف فامر ستة من الخيالة ان يرافقوه فقصدوا راس العين فاذا باهله وغيرهم راكبين العجلات قادمين إلى الدير فرجعوا بهم ووصلوا آمنين مطمئنين . وفي تشرين ١٩١٥ وافى الى الدير ارمن كثيرون من مرعش وعينتاب وقونيه وانقره وبرسا وسيواس وغيرها قافلة فقافلة حتى بلغ مجموعهم مائة وستين الفاً بنيف عين لهم المتصرف الكريم المعايش قدر ما امكنه . غير انه في ايار ١٩١٦ عُزل هذا المتصرف النبيل ونصب بدله متصرف فظ الطباع لئيم فقام من ساعته يراسل الجراكسة والعشائر القريبة ويستنهضهم لذبح المسيحيين. وعزل جميع مديري الاحسجا والشداده والصور وهفل ونصب بدلهم رجالاً خبثاء مرداء . ولما استتب له الامر شرع ينتقي طائفة فطائفة من اولئك الارمن ويبعثهم مع الضباط والجراكسة الى جسر الدير فالشداده فيقتلونهم على الطريق ويعودون بالاسلاب فيقترعون عليها ويستحلونها

وذات يوم جمع المتصرف زهاء سبعمائة من البنائين من السن العشرين الى الخامسة والعشرين وبعثهم الى صحارى الدير في قوم من الجراكسة اصحاب الخير فتركوهم من دون اكل وشرب وكانت الارض فراشهم والسماء غطاءهم مدة ثمانية عشر يوماً . ولشدة ما نالهم من أذى الجوع اكل بعضهم بعضاً . وبعد هذا ارادوهم على السير فمات منهم كثيرون في الطريق لما اعتراهم من الهزال والضعف ولم يبق من السبعمائة سوى مائتين لا غير اعملوا فيهم الضرب حتى هلكوا عن اخرهم

وبعد ذلك امر المتصرف بسوق النصارى قافلة فقافلة وارسل منادياً ينادي في الدير ان « من آوى اليه ارمنياً استحلت الحكومة عرضه وماله وروحه » فلم يتجرأ والحالة هذه احد المسيحيين ان يأوي اليه احداً . فاستاقوا جميع الارمن رويداً رويداً وبعث معهم المتصرف قوماً من القصابين باجرتهم فاوصلوا منهم زهاء خمسة عشر الفاً الى الشدادة وركب اليهم المتصرف وحياهم تحية السلام فتبادر الى ظنهم انه قادم لينقذهم ويوسع عليهم . بيد انه ما تأخر ان ارسل في استحضار جماعة من الخيالة انضموا الى القصابين واحاطوا بالمسيحيين وذبحوهم واطلقوا عليهم البنادق وفتكوا باكثرهم . وسارع اهالي جبور لمساعدتهم فالتحم القتال حتى كادوا يفنونهم عن آخرهم . وانتقوا من النساء والاطفال من استطابوا كمألوف العادة ثم مضوا بالعذارى الى ضفاف الخابور فعروهن وركبوا منهن الفواحش والقوهن في النهر. وكروا راجعين الى الشداده وجمعوا اصحاب الدكاكين

وصوّبوا نحوهم البنادق وقتلوهم جميعاً . ولما انتهى المتصرف من المذبحة عاد الى دير الزور جذلاً مسروراً

اما الاب بيدروس ترزيباشي كاهن الارمن بدير الزور فكان يختلف الى خيم الارمن المهاجرين ويقرأ لهم ما يردهم من الرسائل الارمنية ويعزيهم في غربتهم ويسري عنهم غمومهم . فاستدعاه المتصرف وقال له : بلغني ان الارمن تردهم رسائل جمة من بلادهم وتذهب انت فتقراها لهم فاصدقني هلا يبعث لهم اصحابهم ذهباً . وكم من المبالغ وصلت اليهم على يدك . قال له الاب لا ادري الكمية لانه قد مضى على ذلك زمن طويل . قال له المتصرف انصرف وهلم اليّ العصر . فسار اليه وألفى في غرفته شاباً موسيقياً كان المتصرف يودّي له ستمائة غرش راتباً شهرياً ليطربه بنغماته ولما حضر الاب بيدروس امر المتصرف الجنود فاوثقوا ذلك الشاب والقوه على الحضيض وصفعوه ضربات شتى تجاه الاب حتى تناثرت لحمانه ثم اندفع المتصرف يقول القس عليّ بكل ما ورد للارمن من النقود والا فعلت بك نظير هذا الموسيقار . فرجع الاب الى بيته مغموماً حائراً في امره لا يدري ما يصنع . فاشار عليه آله ان ينهزم الى سنجار فلم يستحسن ذلك . غير ان المتصرف استدعاه ثالثة وطالبه بالنقود ثم دفعه الى اربعة ضباط فاركبوه وساروا به الى الجسر فراى عبد المسيح شقيقه فودعه وقال لا عدت تومل بقائي في قيد الحياة ارجع الى بيتك . ثم انضم الى الضباط قوم من الجراكسة وساقوه الى الصور فسار اليه المتصرف واستنطقه فلم يفز بمطلوبه فامر الجراكسة فمضوا به الى الخابور وقتلوه وانقلبوا راجعين .

فراى عبد المسيح اخوه سليمان الديري عائداً فاستخبره عما جرى لشقيقه فقال له اننا حسب قولك دفعنا خمساً وعشرين ليرة الى الشراكسة ليطاقوا لنا الحرية في دفنه فلم يرضوا فتركناه تحت الشجرة وعدنا

اما ما جرى للمسيحيين في الشداده والصور فانه يتعذر على اللسان والقلم وصفه وترتعش الفرائص لذكره . من ذلك ان الفتى يعقوب بن سعيد ترزيباشي وهو في السن السابعة من العمر بعد ما استاقوه مع والدته وشقيقته في مائتي امراة وولد الى ملاحة قريبة زجوهم في بئر هناك ناكز وهم احياء فصادف يعقوب وامه واخته في تلك البئر مغارة مجوفة لاذوا بها متنحين عن البقية . اما اعداء النصرانية فالقوا فوق اولئك المكومين حطباً وقشاً وقلبوا فوقه البترول واعملوا فيه النيران فاحرقتهم ما عدا الثلاثة المحتصنين بالمغارة وغيرهم من الذين لم تصل اليهم النيران فوافى قوم من العرب ودلوا الحبال وانتشلوهم ثم ذبحوا منهم وتركوا البقيه فزجوهم ثانية في البئر ثم اخرجوهم وقتلوا منهم جماعة والحاصل انه لم يبق سوى خمس نسوة ويعقوب الفتى المذكور . امه اخته زكية فانهزمت الى خيم عرب جبور واخذت تجمع الاعشاب وتتقوت بها مدة ستة اشهر فبحث عنها عمها عبد المسيح واسترجعها الى دير الزور اما يعقوب فحملته امه سوسان بعد ما كسر الكفرة كتفها وشدخوا راس ابنها وتاهت به في الفيافي حتى وصلت الى سنجار فاستقبلها المسيحيون واغاثوهما وكشفوا عنهما الضيم . وعام ١٩١٨ عادت به الى دير الزور ثم سارا الى حلب

وافادتنا حبو قرينة جبرائيل نعلبند وغيرها ايضاً انهم راوا ابوين يسوعيين في الشدادة عراهما الكفرة وانزلوا بهما افظع العذاب ثم صوبوا نحوهما البنادق وفتكوا بهما

وروى جرجس بن عبد المسيح تازا الارديني انه يوم كان في الشداده راى بعينه جماهير جماهير من الارمن مبثوثين في تلك البرية الفسيحة يسرحون كالغنم والجراكسة الغليظو الرقاب والقساة القلوب يثبون بهم كالنمورة الهائجة فيعرّونهم ويحتوون على اسلابهم ويعملون فيهم السيوف والخناجر حتى يتخضبوا بدمائهم فيقبل العرب الشواية فيذبحونهم ويسلتون امعاءهم ويستخرجون منها ما ابتلعه القتلى من الذهب . اما الاطفال فكانوا يسوقونهم مائة فمائة ويلقونهم في الخابور او يجمعون القش والشوك ويكومونه فوقهم ويقذفون فيه النار فتشتعل وتتسعر فيرقص اولئك الاطفال داخل الاتون البابلي وترتفع صراخاتهم ونحيبهم حتى تتصرم انفاسهم . .

كفاك ايها القلم كفاك اعرض عن الكتابة فان اليد ترتجف والعين تدمع والقلب يخفق

اخطّ وداعي الحزن عليّ وكلما تعديت سطرًا رملته مدامعي

قبحاً لك يا ابن ادم ما الامك وافظك . ما الذنب الذي اجترمته الرضعان والاطفال حتى تنزل بهم العذاب والنكال . ما افسد قلبك واغلظ كبدك . استرسل يا هذا استرسل في الشرور والفظائع فان

(١) يغلب على الظنّ انه هو الاب بطرس اغاجانيان اليسوعي الذي ساقه المصرم من امنه صحبة اخ يسوعيّ وكان الاب بطرس شاباً بعد لم يمر على رسامته كاهنا الاّ عام واحد فقط

الك عذاباً افظع واغلظ

ثم ان الجراكسةُ الوحوش كانوا يهجمون على الفتيات غير المراهقات ويرتكبون منهن المنكرات ثم يبيعونهن من العرب الشواية فيكملون شهوات ابدانهن ويدفعونهن الى غيرهم . او يستخرجون امعاء الحريم ويقسرون النسوة ليبلتنها تجاههم لعلهم يصادفون فيها ذهباً . اما الحبلى فكانوا يبقرون رحمها ويستخرجون جنينها على مرأى منها ثم يقتلونهما كليهما او يضطرون الام بعد ما يشقون بطنها ان تاخذ جنينها على كتفها وتمشي بسرعة والا فيخطفون الجنين ويضربون به الصخرة تجاهها وهي تولول . . في الحق ما عاد يتيسر لي ان اواصل تدوين فواجع مرة كهذه تجري مدامعي وتجرح فوادي وترعشني فالسكوت اولى بي ولا باس ان عاودت ما كتبته سابقاً على لسان داود النبي « يا ابنة بابل الصائرة الى الدمار طوبى لمن يجزيك ما كافاتنا به . طوبى لمن يمسك اطفالك ويضرب بهم الصخرة (مز ١٣٦) كما فعلت انت يا شقية يا اثيمة . يا خبيثة يا خائنة . يا فاجرة يا كافرة . . .

الفصل الثامن

تواريخ سنجار

سنجار جبل واسع الارجاء خصيب تكثر فيه اشجار التين المضروب به المثل . وكانت النصرانية شائعة ذائعة فيه تشير اليها آثار الكنائس والاديار الكثيرة الباقية اطلالها حتى يومنا . غير انه في اواخر القرن الثاني عشر تغلب عليه قوم من اليزيدية اليك شيئاً من

اخبارهم عن نسخة كلدانية سطرت سنة ١١٩٨

اليزيدية ينسبون الى يزيد بن معاوية ويعتقدون بالاه واحد تحت رئاسته ستة الهة هم يزيد والشيخ عادي والملك طاوس وشرف الدين وشمس الدين وفخر الدين وعندهم التناسخ وخلود النفس . وكان ميلاد يزيد سنة ٦٥٩ م وعام ٦٨٨ قتل جماً غفيرا من عرب الكوفه والبصرة . وعام ٨٧٩ تولى امرهم احمد جدّ الشيخ عادي وخلفه احمد مسفر ثم عادي فعلم اليزيدية الاعتقاد بكون يزيد الاهاً . وهو الذي فتك برهبان سنجار في اواخر القرن الثالث عشر وقُتل عادي في الطاق قتله اصحاب هولاكو المشهور وقتل ابنه شرف الدين في الجزيرة

ولليزيدية رئيسان يقال لاحدهما الحاج يصومان كلاهما اربعين يوماً في الصيف واربعين في الشتاء وهما متصفان بالرحمة والرفق .. ولهم روساء غيرهما . واذا ولد لهم ولد لبث ابوه في البيت سبعة ايام ثم يجتمع الاهل فيختتنونه ويغمسونه بالماء اثناء الصيف. والزواج والخطف عندهم مباحان في كل السنة الا نيسان . وهم يتزوجون الى السبع نساء ويأكلون الزبيب مع العريس والعروس . ولا يتم الزواج الا برضى الابوين . ولا فرق عندهم بين البكر والثيب واذا مات الميت احضروا فرساً وشحوه بالحرير الاحمر وساقوه امام الجنازة وزفنوا امامه بالسيوف والتروس واطلقوا البنادق وذروا التراب على روؤسهم ومزقوا ثيابهم وجزوا شعرهم فوضعوه على ضريح المتوفى

ولهم ثلاثة اعياد الاول في سلخ الصيف يسمونه عيد الاربعين

ذكرا لقتل الشيخ عادي والثاني في بدء تشرين الثاني ذكرا للشيخ عادي اذ قبض عليه اصحاب هولاكو. والثالث في اول نيسان ذكرا لاستيلاء عادي على دير النسطور

ولا تجوز القرآة والمطالعة عندهم الا لمن ينتمي الى اسرة الشيخ عادي. وتحت رئاسة الامير خمسة وعشرون اميرا وله الحرية المطلقة في القتل والنهب والعزل والنصب . وثاني الامراء لا يشرب مسكرا البتة ولا يدخل اليه من يشرب المسكر . ووظيفة الامير الثالث الصلاة والتعليم وامره مطاع يصون في بيته سلسلة وعصى يُعمد بها الابالسة . والامير الرابع يقضي في امور الزواج وتحت ادارته مشايخ خاضعون له. اما الخامس فاصحابه يسكنون بحزانه وبعشيقه بالموصل ويجمعون الصلات والصدقات ويرسلونها اليه . اما السادس فاصحابه يسمون فقراء يرتدون بثياب سوداء وهم دراويش اليزيدية يتزوجون كلهم ما عدا امامهم ويقال له الجاويش . اما السابع فاصحابه يسمون خواجكية وعددهم كثير يصومون اربعين يوماً في السنة ويحجون الى قبر الشيخ عادي ويخطبون الخطب ويقولون انا حمير الشيخ عادي

وكان لليزيدية سبعة اصنام نحاسية اهلك المسلمون منها اثنين وبقيت الخمسة تحاكي الطيور باشكالها الكلّ عين واحدة . وعند اجتماعهم في بيت الامام يضعون الصنم في طست ماء صغيرة ويغنون بالفارسية هالوم هالوم هاولن حتى يرقص الصنم . ذلك لا يصير الا مرة واحدة في السنة

وسنجار يشمل نيفاً وخمسين قرية اعظمها السموقة والقيران .

وعددهم في يومنا يبلغ زهاء ثمانية الاف نسمة . يسايرون النصارى ويعفرون من المسلمين بل ان المسلمين يتطيرون من ذكر اليزيدية ويستبشعون مذهبهم وعوائدهم . غير ان اليزيدية ولاسيا في ايامنا هذه قد ابدوا شهامة واعمالاً صالحة سطرت لهم في قلب التواريخ ذكراً طيباً على انهم لم يمدوا يداً عادية على نصراني واحد بل احسنوا اليهم واضافوهم لديهم وحقنوا دماءهم وسهلوا لهم طرق المعيشة واليك حقيقة ذلك

الفصل التاسع

جالية المسيحيين بسنجار

رأى البعض من النصارى الوطنيين ان في غيبوبتهم عن ديارهم خيراً لهم واصون لحياتهم . لانهم مهما اطاعوا رجال الحكومة وكارموا الترك لا يحوزون الحظوة لديهم ولا يستجلبون خواطرهم . فاستدركوا المسألة وجعلوا ينهزمون رويداً رويداً الى جبل سنجار عند اليزيدية مؤثرين التغرب على التجند موقنين ان من تجند لحقه العطب والهلاك . فودعوا الاهل والاصحاب ولسان حالهم يقول :

الموت بالعز في الغربة خير من الموت بالذل في سبيل حكومة خائنة

ولما اقبل ربيع سنة ١٩١٥ اخذت تتوارد اخبار الشؤم من وان وارضروم تصرح بان تركيا قد جردت سيوف سخطها على الارمن وعلى عامة النصارى وجعلت تترصدهم بالخيانة لتوقع بهم وترديهم . فما كان من بعض الشبان الا ان طاروا باجنحة الركض او تسللوا الى سنجار منهزمين من وجوه الخصوم ضناً بحياتهم . فكان مثلهم

مثل يعقوب لما جفاه اخوه عيسو فانهزم من وجهه الى حران او موسى لما هرب الى مدين من وجه فرعون الطاغية او ايليا لما لاذ بصارفية صيدا خوفاً من احاب اللئيم

ولما وصلوا الى سنجار استقبلتهم اليزيدية ولاسيا امامهم حمو شرو بكل ترحاب وهشاشة واجزلوا لهم العطاء واجاروهم . وفتحوا لهم ابواب الارتزاق والمكسب وخصوهم ببيوت او خيم . فاستوجبوا لذلك الثناء العاطر والشكر الوافر

غير ان الجالية المسيحية ما لبثوا مضطربين قلقين لانقطاع اخبار آلهم عنهم وكانوا عارفين انهم معرضون للاخطار حاصلون ما بين انياب الاعداء الاشرار . فكانت لذلك غيوم الهواجس والاكدار مخيمة فوقهم وامواج الاحزان والاشجان تلاطمهم وما وصلوا الى شهر تموز حتى ذاعت وانتشرت عندهم اخبار القوافل والمذابح وسوق المسيحيين والمسيحيات فتفاقمت غمومهم وازدادت همومهم وايقنوا ان آلهم واصحابهم جميعاً قد امسوا فريسة للوحوش او انتزحوا عن الوطن

ولما كان تشرين ١٩١٥ تعلقت بهم الحمى التيفوئيدية على اختلاف طبقاتها لسبب المخاوف التي شملتهم . فنجم من ذلك ان شيوخ اليزيدية ولاسيا عاشور شيخ مساميصه اشمأزوا منهم والزموهم ان يغادروا بيوتهم خوفاً من سريان العدوى اليهم . بل افضى الخوف بعاشور فصمم ان يحشر مرضى النصارى في محل واحد ليموتوا كلهم ويخلص السنجاريون من اذاهم . فلاذ المسيحيون بخليلهم حمو شرو كبير سنجار فاستدعى عاشوراً وتهدده واغاظ

له في الكلام فعدل عن رايه . ثم اتفق معه فخصص للمسيحيين احدى جهات ماميصة ليسكنوها ريثما ينالون البرء التام

واستصعب على المسيحيين ايجاد الوسائل لمعالجة المصابين بالعدوى وتعذرت عليهم المراسلة الى الموصل او ماردين في استحضار الادوية فتاتى من ذاك ان عشرين منهم قضوا انفاسهم فريسة الحمى فسخط عليهم عاشور واهل قريته وصمموا ان يخرجوهم قاطبة عن قريتهم فالتجأ المسيحيون تكرارا الى حمو شرو فجد في استحيائهم وافرز لهم تلّاً كبيرا تجاه قريته وفوض اليهم ان يبنوا بيوتا وعرازيل من خشب البلوط يثوونها في الخريف حتى اذا اقبل الشتاء يعودون الى محلهم . وقال لهم اني ارى في بقائكم بالقرب مني خيرًا لكم ولما وافى الشتاء واصبحت السكنى تحت العرازيل شاقة راح النصارى يشيدون لهم بيوتا من اللبن فابتنوا بادئ بدء غرفة كبيرة يختلفون اليها كلهم لقضاء فروضهم الدينية وقيض لهم الله اذ ذاك كاهنا كلدانياً غيورًا اسمه القس يوسف تنتكجي اضطره شديد خوفه ان يغادر وطنه ماردين ويرحل الى سنجار فجعل يخدم الابرشية الجديدة بوافر النشاط ويقيم لهم الذبيحة الالهية ويوزع عليهم الاسرار المقدسة . ولما اعتمد على الرجوع الى وطنه بلغ ذلك حمو شرو واعلمه انه قد نصب المعلم فرج الله كسو وكيلًا ينوب منابه واستلفت نظر الشيخ اليه واستعطفه على جميع المسيحيين القاطنين بجواره . فقبل حمو شرو الوظيفة وتعهد بمجاملة المسيحيين ومساعفتهم بكل قدرته

ويقصر اللسان عن وصف كيفية اجتماع المسيحيين في المعبد الحديث فانهم كانوا يتلون اولا السبحة الوردية ثم يقرأ عليهم

المعلم الانجيل الطاهر او فصلًا روحياً وكانوا يقيمون قداساً احتفالياً من دون قس ويرنمون الاناشيد التقوية عربية وارمنية . وكان المسيحيون يتقاطرون الى المعبد الجديد من مسافة ساعتين . ويواصلون الادعية الحميمة الى العزة الصمدانية لتكشف عنهم كل ضيم . فضارعوا بذلك اجدادهم المسيحيين الاولين . وزد عليه ان وجودهم ما بين اليزيدية الجأهم ان يكفوا عن الشتم واللعن والسب والتجديف والتفل وذكر ابليس اخزاه الله وشرب المسكرات لان ذلك كان ممقوتاً عند السنجاريين يأنفون من ذكره ويعاقبون من استعماله . فاصبح المسيحيون والحالة هذه كرهبان ضمهم دير واحد وتمت فيهم وصايا الرسول بولس . فكانت محبتهم بلا رياء . ابغضوا الشر واعتصبوا بالخير . أحبوا واكرموا بعضهم بعضاً . عبدوا الرب بحرارة . صبروا في الضيق . واظبوا على الصلاة . اعرضوا عن اللعنة وتشبثوا بالبركة . اعتنوا بالصالحات امام الله والناس معاً (روم ١٢)

وابتنت جالية المسيحيين في سنجار زهاء ستين منزلاً لمثواهم خصوا منها منزلاً كبيرا جعلوه كمستشفى نقلوا اليه جميع المرضى وتولى رئاستهم المعلم فرج الله فجمع الحسنات والصدقات من جميع النصارى لمداراة المرضى ومعيشتهم . وكان يتعهدهم صباح مساء من دون فتور ويهيء لهم كل ما يفتقرون اليه حتى نالوا العافية التامة ما عدا فرج الله دريج فان داءه كان عضالا تعذر شفاؤه فدفنوه بالصلاة والاكرام

وحدث لتوما بن رافائيل بوصيك انه لما انهزم من ويران شهر الى سنجار تتبعه اصحاب حسين قنجو واطلقوا عليه البنادق فاصاب

احدهم كتفه فانهزم وتوارى بين عرب عنزا ولما قصد سنجار لقيه ابن ابرهيم باشا الكردي في عصابته فطعنه برمحه طعنة كادت تودي بحياته. غير ان الله تعالى انقذه من الموت باعجوبة فوصل الى سنجار خائفاً مذعوراً جداً وما مرت عليه اشهر حتى أُصيب بالحمى التيفوئدية فاصطبر على الالم زمناً حتى لفظ روحه وزوّده بالاسرار الالهية القس يوسف تفنكجي الكلداني الغيور وكان عمره تسعة وثلاثين ربيعاً . ولما بلغ الخبر الى والده بحلب تواجد جداً وتغلبت عليه الهموم فعاد الى ماردين وقضى حياته كمداً . ومما يجدر بالذكر انه اثناء الحرب المشؤومة لم يتجند ولا واحد من اسرة بوصيك المذكورة

ولما كان اذار ١٩١٦ اخذت تتوارد قوافل الارمن من نواحي الشداده ودير الزور الى لحف سنجار الجنوبي قصد ان يزيدهم الاعداء عناء وشقاء فطوحوهم في البراري القحلة ليموتوا رويداً رويداً . ولما شعر بهم اليزيدية خرجوا اليهم واختطفوا منهم فتياناً وفتيات جاؤا بهم الى الجبل ودفعوهم الى المسيحيين عراة حفاة نحيفي البنيه شمل الهزل اجسامهم وملا الاصفرار جباههم وامست عظامهم ظاهرة فكانوا الى الموت اقرب منه الى الحياة . فاستقبلهم المسيحيون بترحاب وبالغوا في اسعافهم واثنوا على من وافى بهم

وحضر اذ ذاك الى سنجار طائفة من الماردينيين بحال يرثى لها انهزموا من الشداده وغيرها من فم الذئاب المفترسة وكان في جملتهم سوسان قرينة سعيد ترزيباشي وابنها يعقوب (هنا ص٣٦٧) فهذه لما وصلت الى سنجار كانت لمزيد ما الم بها من العذاب قد تبدلت

صورتها وتعذّر عليها التكلم فبالغ المسيحيون ولاسيما عبد الكريم قره كله في معالجتها حتى نالت العافية . وحضر الى سنجار بعدها كثير من النساء والرجال المنكوبين بلغوا ثلاثمائة نسمة اركنوا الى الفرار من امام العدو الغدار فاستقبلهم المسيحيون واغاثوهم واعتنوا بشفائهم

فازداد عدد المسيحين وتعذرت عليهم بواعث المعيشة فهزّت الغيرة الدينية كبراءهم فنظموا اكتتاباً خيرياً لمساعدتهم وجمعوا لهم مرة الفين واربعمائة غرش ومرة الفين الخ وامتاز بين المتبرعين على اولئك المنكوبين الياس مالو وعبد الكريم قره كله والياس شوحا وغيرهم

ولما اقبل صيف ١٩١٦ نشط النصارى ليشتغلوا ويسعوا في استحصال الرزق والمعيشة فراجعوا اليزيدية وضمنوا كرومهم وبساتينهم بالمناصفة واستغلوا منها كفافهم . وراسل غيرهم من بقي من اهلهم بماردين فبعثوا اليهم شيئاً من الابر والعلك والسكر والشب والفضة والذهب وما شاكل ذلك فاخذوها وطافوا القرى وبدلوها بالقمح والشعير والعدس لقوتهم وقوت اخوانهم . فتداركهم الرب المنان بالطافه ووسع عليهم وجوه الارتزاق حتى انهم استحصلوا ما كفاهم وكفى الغريب ايضاً

ولما اشتد الغلاء وارتفعت اسعار الحبوب ارتفاعاً فاحشاً وعمّ الجوع جميع من في الجبل . راح النصارى الى عشيرة طي غير مكترثين للاخطار وجاؤا بكمية وافرة من الشعير والدخن والذرة وما شاكلها مما كفاهم مؤونتهم حتى اصبحوا في عيشة راضية كأنهم اخصبوا بعد الجدب والقحط وغدت السنتهم تحمد الله وتشكره على فتحه في وجههم ابواب جوده العميم وسخائه الوافر . حتى ان حمو شرو لما

راى من النصارى ما راى ما تماسك ان قال « اني لمندهل اشد الانذهال منكم يا نصارى . فان بواعث المعيشة تعذرت علينا نحن اصحاب الزروع والكروم والمواشي وانفسحت لكم فاحتاج اليكم اولادنا بارك الله في همتكم واتعابكم » وما هو اغرب من ذلك ان اليزيدية لما راوا النصارى رافلين بحلل العيش الطيب والرخاء تحفزوا لسلب مؤنتهم فبلغ الخبر مسمعي حمو شرو فاصدر الامر الى منادٍ يقول « من اغتصب او سرق شيئاً من النصارى نهبت بيته ونفيته » ونفذ امره هذا بنفر من الحلكية المغتصبين

لعمري ان اللسان يقصر عن تعداد اوصاف حمو شرو النبيل فان النصارى راوا من فرط اكرامه لهم وتوسيعه عليهم ما لم يعهدوه في غيره ممن كان من اكرم الرجال وافضلهم . وقد كافأه الرب على مروئته وشهامته بان استقامت اموره في الايام الاخيرة وصفت له الدنيا وانبسطت بعهدته مصالح الجبل ونال الحظوة والشرف وخلد له ذكراً طيباً في قلب كل من عرفه واطلع على اعماله

الفصل العاشر

تتمة حوادث سنجار

وفي ربيع سنة ١٩١٧ انفتح باب بغداد فوافى الى سنجار قوم من العرب يلاقون النصارى ويخيرونهم في السفر اليها وبذلوا لهم عهد الامان . فسار معهم ثلاثون شخصاً من الماردينيين دفع لهم كل واحد ثلاث ليرات . وعقب وصولهم الى بغداد على الطائر الميمون بعثوا الى اصحابهم باخبار السلامة والطمأنينة . اما الاهالي بماردين فكاتبوا

رجالهم او اخوانهم بسنجار ان قد انقشعت سحابة الخطر فلا بأس من حضوركم . غير انهم لم يجسروا على الحضور لعلمهم بان اعداءهم يترصدونهم ليهدروا دماءهم ويضيفوهم الى من سبقهم . فظلوا يواصلون شغلهم في سنجار حتى صيف سنة ١٩١٧ فشخص منهم قوم الى سرجي وتل هلين والدربيسية واكتتبوا في عملة السكة الحديدية انتجاعاً الرزق ليس الا

وفي اذار ١٩١٨ تعرض الاتراك لمعاداة جبل سنجار واضطرموا حنقاً للاستيلاء عليه والفتك باهاليه . فاوفدوا الى لحفه شرذمة من الجنود في مدافعهم وقنابلهم وحصروه . واوفد قائدهم رسالة الى حمو شرو يقول « ابعث الي جميع من عندك من النصارى اللائذين بك وكل ما لديك من الاسلحة والا انزلت بكم الوبال واخربت دياركم » وكانت الرسالة موقعة بامضاء « محي الدين بك القومندان رئيس تعقيبات جبل سنجار »

ولما طالع الرسالة حمو شرو تمحض على القائد وكاشحه بالعداوة وقال: « كيف يتاح لي ان ابعث اليه النصارى وقد بذلت لهم الامان وحلفت بشرفي وبجتي اني لن اخونهم . كلا وحق الخرقة[1] اني لن اسلمه احدا منهم ما دام بعيني ماء . غير اني متى ذبحت انا واولادي فللاعداء ان يفعلوا ما يرون ثم استتلى يقول . ان القومندان يطلب سلاحنا . يا للغرور أنبعث اليه بالسلاح ونبقى مستهدفين لنباله » قال هذا وارسل في استحضار مشايخ الجبل وبلغهم اوامر القومندان السامية العالية وصرح لهم بمكنونات قلبه وخلاصة فكره في انكار

(١) هو اكبر قسم عند اليزيدية

طلبه بتاتاً . لكنهم لسوء الحظ انكسروا على قسمين قسم قضى بالمقاومة وقسم حتم بالتسليم فالحّ عليهم الشيخ بالاتفاق جميعا ففت ذلك في عضده. وزاحوا من عنده وتالبوا في بردحله مسلحين وخيموا في شيب القاسم وهو مقام زيارة لهم

اما حمو شرو فانتقى نفرا من الفقراء المنتمين اليه فشدوا على اثاره وانحدروا لمقارعة الجنود التركية ومصارعتهم في بوغاز كرسه. فالفوا ثلاثة توابير من الجيش التركي رابضين في خان يبعد عن الجبل زهاء ساعتين يتربصون الفرصة للهجوم على الجبل والتمثيل بمن به . ويوم السبت ليلة عيد الفصح تقدم الجنود من الجبل وصاقبوا المضيق واطلقوا مدفعاً صوبوه نحو شيب القاسم ارتجت له ارض الجبل وارتجفت افئدة سكانه هلعاً . ثم جعلوا يتقدمون الهوينا وحمو شرو ورجاله في الكمين يترصدونهم ليستشفوا العاقبة . ولما دنوا منهم صوبوا نحوهم البنادق فقتلوا من الترك نحو خمسة عشر . فنزل خلف السنجاري الى مكان القتلى ليأتي باسلحتهم فبغتته اربع رصاصات القته على الحضيض واماتته

اما حمو شرو فلما راى قوة العدو وكثرتهم تخوف من تقصير يقع به او هلاك يفاجئه ان استمر في الكمين فراى ان في رجوعه الى القرية اولى له . ولاسيما لان عدد رجاله قليل . ولما شارف قريته صاح بالنصارى اعزائه « اني انصح لكم اشفاقاً على مهجكم وضناً بانجالكم ان تخرجوا من بيوتكم قاطبة وتاخذوا زادكم وتبادروا الى الجهة الجنوبية فان العدوّ على ما ارى مقبلٌ نحونا » . فنهض النصارى وانهزموا باجمعهم اقبح هزيمة تاركين اثاثهم واثقالهم

وهم يعولون ويضجون كالسكارى. وتطلعوا الى ورائهم فاذا بالجنود التركية قد دخلوا ماميصه ونشبوا ينهبونها وواصلوا الهجوم حتى بلغوا عند الاصيل الى قرية النصارى . واول بيت دخلوه صادفوا شيخاً تعذر عليه الانهزام فاطلقوا عليه الرصاص وقتلوه ثم عاثوا في البيوت وعبثوا بما فيها ونهبوها

اما النصارى فظلوا يتسلقون مصاعد الجبال يتخطون المسالك الصعبة خائفين خائري القوى لشديد ما استحوذ عليهم من الرعب والهلع . وعلت اصوات النساء والاطفال والمواشي معاً فكأن القيامة قامت والوالدة اضاعت ولدها لتفاقم الخطب وتراكم الشر

اما الاتراك فوصلوا الى قرية حمو شرو وتنمروا عليها غيظاً ونهبوها واوقدوا بها النيران واستولوا على ما فيها ثم ساروا الى غيرها فاعلن اليزيدية حينئذ بالخضوع والتسليم . فاقام الاتراك وكيلاً لهم في ماميصه ونصبوا خفرة في القرى وانقلبوا راجعين فارتاح اهالي سنجار . وكان العسكر التركي ينقص رويداً رويداً لانهم ملوا الاقامة بالجبل . فعاد سيف اليزيدية الى نزعته وجردوا عزائمهم للاثار من الترك فكانوا كلما راوا واحداً وثبوا به وقتلوه واخذوا سلاحه فما كان من البقية الا ان انهزموا وغادروا الجبل

امـا النصارى فان منهم قوماً واصلوا المسير حتى بلغوا خيم مشايخ طي فلاذوا باحدهم ورضخوا له مبلغاً ليسير معهم ويكفيهم شر اعدائهم . فاستصحب ذلك الشيخ من ارضاه بدفع الدراهم وترك الفقير والعاجز. وظل قوم منهم في جنوب سنجار قضوا ثلاث ليال حزانى مايوسين فراشهم الحضيض وغطاؤهم السماء فادركهم

الضجر والمال فاستصرفوا الله القهار الكاره ووضعوا عليه كل اتكالهم وقاموا يسوحون من قرية الى قرية ومن عشيرة الى عشيرة حتى وصلوا الى نصيبين حفاة جائعين . اما من تخلف منهم في سنجار فانضموا تكرارا الى اليزيدية ورجعوا الى قراهم . وكانوا كلما تذكروا دوي المدافع توثقت عقد ارتعاشهم وتكاثر خوفهم . فكان مثلهم مثل من رشق بسهمين لا يضمد جرحه الاول حتى يصاب بجرح ثانٍ

واليك اسماء العيال المسيحية الماردينية التي هجرت الى سنجار فحقن حمو شرو دماءها . الياس مالو وبيت عمه . فرج الله كسبو . اسرة كجو . وحنجو . وبلبلي . وخوداي . وابرط . وعمجا . ودريج . وطازباز . وحيتك . وبرغوث . وقليونجي . وتازا . وسرقه وبوشه . وبغدي . وسمرتوي . ومنكلو . وفروجي . وشدّ وحندواه . وبازوعا . وصول الخراب . واصبهان . وماغو . ونعمو ومقدسي عموس . وجمالديني . وتتري . واصاو . ونعلبند . وغيرهم

اما الافراد فكانوا من بيت ازرق . وحاجيكه . ومامیش . ومشتع . ونهيأ . وزرمبا . وسجار . وكويل . وباهي وكرابيت وطماس . وجاير

وكان في سنجار من السريان الكاثوليك اسرة بوصيك . وقره كاه وصلبو . وجرخي . وجرباقه . ونانو . وبتو . وبنابيلي . ومورى منصور . وشمعي . ومن الكلدان الياس شوحا . وتمرز

ولك ايها القارىء النجيب ان تعتبر مما اوردناه ان اليزيدية عباد الطاووس والشيطان فاقوا وغلبوا بني عثمان برفقهم ومجاملتهم وحسن

معاملتهم للانسان . فاستحقوا لذلك الثناء العاطر من كل فم ولسان واذخر الاتراك لهم ولاعقابهم سوء السمعة وقبيح الذكر على تتالي الازمان .

اما محيي الدين بك القومندان التركي المذكور الذي حصر سنجار فان حمو شرو الشيخ الكريم بلغ امرة الحاكم السياسي بالموصل فحكم عليه بتأدية الفي ليرة ذهبية او مزاولة الاعمال الشاقة مدة خمس سنوات . وقد ذكر لنا غير واحد انهم راوه يشتغل اليوم مع العملة في ازقة الموصل . وجزاء سيئة سيئة مثلها

الفصل الحادي عشر

مذبحة الجزيرة

الجزيرة او جزيرة ابن عمر وتعرف ببازبدى بلدة على ضفة دجلة رديئة المناخ كان يسكنها قوم من الكلدان والسريان واليعاقبة لكل ملة مطران وكنيسة وعدد من القسان . وفي نيسان ١٩١٥ سير اليها رشيد الوالي زلفي مبعوث دياربكر (ص ١٥٠) فاثار الاكراد وحرضهم على سفك دماء المسيحيين دون استثناء . واتفق ان السيد يعقوب مطران الكلدان ذهب ليزوره فما كان من زلفي الا ان تجهمه وسخط عليه وقال له « سيوافي يوم نحماك فيه مائة كيلو شعيرا ونسوقك سوق الحمير » فاضطرب المطران وعاد الى قلايته كئيباً

ولما دبت عقارب المذابح في ارمينيه ودياربكر انهزم بهنام العقراوي مطران اليعاقبة الى آزخ وظل المطرانان الكاثوليكيان في

مركزيها حتى اذا كان ٢٧ آب كبست شرذمة من الجند كنيسة السريان والقوا القبض على السيد فلبيانس ميخائيل ملكي[1] وعلى الخوري شمعون والقس بولس قسطن الافرامي ومضوا بهم الى السجن وانقلبوا الى كنيسة الكلدان من بغتة واستاقوا المطران يعقوب والقس حنا والقس ايليا والقس مرقس ويوسف سعيد ومضوا بهم الى السجن واضافوهم الى الاولين . واتفق ان ايلي بنت اسطيفو قصدت نحو السجن لتقف على الخبر فاعطاها السيد ميخائيل صليبه وقال لها ارجعي حالاً الى بيتك فصادفها احد الطواغيت في الطريق فوثب بها واختطف الصليب وهددها بالقتل فاسرعت الى بيتها وانزوت . وملكت الرعبة افئدة المسيحيين فاحيوا تلك الليلة بالصلوات والطلبات

وليلة ٢٨ اب استدعى دعاة النفاق المطران يعقوب الى المحكمة واستنطقوه عما عنده وعند جماعته من السلاح فضحك منهم المطران وايد لهم ان ليس عنده وعند ابنائه شي من ذلك بتة . اما الحضور فاربد لونهم واستشاطوا غضباً وتناوبوا في ضربه ثم اطلقوا عليه ثلاث رصاصات فخر شهيداً وكان عند كل طلقة يرسم على جبهته اشارة الصليب الكريم . وبعد هذا حملوه الى خارج الجزيرة وعروه وتركوا جثته على ضفاف دجلة وانقلبوا راجعين

ثم استدعوا المطران ميخائيل واستوضحوه كالسابق فلزم الصمت لانه ادرك الدسيسة واكتشف الحيلة وايقن انه صائر الى ما صار

(١) ارتسم مطراناً على الجزيرة في ١٩ كانون الثاني ١٩١٣ بوضع يد غبطة السيد اغناطيوس افرام رحماني بطريرك السريان الكاثليك

اليه رفيقه الشهيد . اما اعداء الانسانية الشاحنون فما توقفوا ان سطحوه على الحضيض وعقلوا قدميه وصفعوه صفعات شتى حتى كلوا وتعبوا فاغمي على الحبر النبيل وغدا بين حي وميت فاخرجوه خارجاً واستهدفوه الرصاص حتى فاضت روحه فاوثقوه وجروه الى موضع رفيقه الشهيد وعروه وتركوهما كليهما فريسة للوحوش وانقلبوا الى دار الحكومة فاعملوا الضرب الوجيع بلفيف الكهنة ونكلوا بهم اشد التنكيل واستاقوهم على اخر رمق وعروهم وفتكوا بهم اجمع

وفي ٢٩ آب شد الجنود على دور النصارى وقبضوا على جميع الرجال وساروا بهم الى السجن فظلوا اربعة ايام في عيش ضنك وضيق شديد ثم استنطقوا الوجهاء عما عندهم من البنادق والقنابل واعملوا الضرب في اغلبهم واخيراً اوثقوهم بالسلاسل والحبال واستاقوهم الى محل قريب وقتلوهم واستحوذوا على الامتعة والثياب

وفي اول ايلول حملوا على دور المسيحيين وقبضوا على النساء والاطفال وافادوهم انهم مزمعون ان يسيروهم الى الموصل عند ذويهم فاستاقوهم قاطبة في بكاء وعويل شديد وقتلوهم واحتووا على ما كان عندهم من الثياب والذهب وانتقوا من استحسنوا من الفتيان والفتيات ورجعوا بهم الى بيوتهم مسرورين . ولم يبق في الجزيرة سوى اربع نسوة احتجبن عن الخصوم في دار احد المسلمين فحقن دماءهن وكانت من جملتهن عفيفة بنت ملك معمارباشي بذلت ذهباً وافراً حتى تيسر لها الحضور الى ماردين سالمة . وكان في الجزيرة اثناء النازلة قوم من رجال ماردين كمحمد رسول ومجيد نازو واخي خضر جلبي وغيرهم ممن شاطر الترك في المفاسد واعانوهم على المظالم

الفصل الثاني عشر

مذبحة سعرت

سعرت او سعرد بلدة من ديار ربيعة قريبة من شط دجلة تحيط بها الجبال وفيها شي كثير من اشجار التين والرمان والبندق والبطم والكروم جميع ذلك عذي لا يسقى . وهي متصرفية خاضعة لولاية بتليس وبينها وبين ماردين اربعة ايام . وكان في سعرد وقراها قبل الذابح اكثر من اثني عشر الف نسمة من المسيحيين من كلدان وارمن ويعاقبة وسريان . وكان يدبر شؤون الكلدان السيد ادي شير المؤرخ والعلامة المشهور تلميذ الاباء الذومنكيين . وكان في سعرت ثلاثة من الاباء الذومنكيين وهم الاب شاريو والاب ميشيل دي بوابسيه والاب لويس صانغ لهم دير ومدارس للفتيان والفتيات وميتمان يقوم بهما ثلاث من راهبات تقدمة العذراء تحت يدهن اربع معلمات بلديات . وكان للدومنكيين كذلك مدرسة يتعلم فيها الشبان شيئا من الصنائع . فاذا عرفت ذلك كله هلم نقصّ عليك ما حدث لهولا المسيحيين اجمع اثناء الحرب المشؤومة

ذلك ان رجال الحكومة بعد اشهار الحرب باسابيع اضطروا الاباء الدومنكيين والراهبات ان يغادروا سعرت الى اوطانهم ففوضوا امور مدارسهم وميتميهم الى الكهنة والمعلمات الوطنيين والى وكيلهم سليمان شقيق الخورفسقفس افرام حيقاري رئيس دير الشرفة بلبنان

وفي اواسط حزيران ١٩١٥ ثار ثائر الخصوم فكبسوا طائفة من

المسيحيين داخل الدور ونكلوا بهم شديد التنكيل وقتلوهم ثم القوا القبض على الوجهاء كأسرة عبوش النبيلة التي كان افرادها يناهزون ستين نسمه واسرة ايواز واسرة موسى كوركيس واسرة اوشو وغيرها حتى بلغ المجموع نيفاً وستمائة شخص وزجوهم قاطبة في اعماق السجن وحرجوا على ذويهم ان يتفقدوهم او يحملوا اليهم الغذاء الجوهري . ثم طفقوا يستدعون الكهنة والوجهاء الى منقع العذاب ويستوضحونهم عن مخابىء الاسلحة وينزلون بهم ضروب الالام فعذبوا كهنة الارمن الخمسة وسائر الوجهاء واغار احمد آغا كجه السعردي على القس ابرهيم رئيس السريان المنفصلين وحز هامته واثار الاجلاف ليلعبوا بها في شوارع المدينة . ثم حمل قاسمه واصحابه العفاريت على دار القس جبرائيل كبو الكلداني تلميذ الاباء الدومنكيين واستاقوه اعنف سوق الى دار الحكومة وما كاد يصل اليها حتى عروه وتناوبوا في ضربه وتعذيبه بالمدى والشفار وكانوا في كل طعنة يلحون عليه ان يجاهر بالاسلامية . غير ان الاب القديس ابى عليهم ذلك وكان لا يزال يصيح باعلى صوته . اني اموت على دين المسيح القويم حتى فاضت روحه فقطع الخصوم هامته ودحرجوها الى اعماق الخندق القريب المعروف بخندق بيت الاغا

وما قضى المسيحيون في الحبس اربعة ايام حتى تكالب عليهم الاعداء واوثقوهم واستاقوهم جميعاً سحراً الى وادي زرياب شمالي سعرد يبعد عنها مسافة ساعة وهناك تكاثفوا عليهم وجردوا الاسلحة والخناجر ليفتكوا بهم فنهض القس افرام القصوراني السرياني والقى عليهم خطاباً وجيزاً حمسهم في ايمانهم وشدد عزائمهم ليخوضوا

غمرات المنون حباً لمن فداهم فعلت حينئذ الصيحات بشدة حتى سمعها من بقي في البلد فكأن الجبال ارتجت وتصدعت والارض اهتزت وتزلزلت . ثم ان الخصوم حملوا عليهم حملة منكرة وذبحوهم عن اخرهم ورجعوا بثيابهم والبستهم الى البلد وتقارعوا عليها

وبعد ذلك هجموا البيوت ثالثة وقبضوا على النساء والفتيان والفتيات والفوا منهن ثلاث قوافل استاقوا الواحدة تلو الاخرى وركبوا من اغلبهن الفواحش والمنكرات وكانوا لمزيد حقدهم ولومهم يسوقونهم حفاة عراة جياعاً عطاشا في مخاصر الطرق الوعرة ليزداد المهم ووجعهم وابقوا على عدد صالح من الفتيات غير المراهقات ليشبعوا بهن شهوات قلوبهم الفاسدة . ولم يذروا في البلد سوى قوم من الاطفال قدموا لهم المعايش زمناً حتى شارف جنود الروس تلك الاراضي فوثبوا بهم وقتلوهم في سري زينه

وفي ١٦ اب ١٩١٥ وصل من سعرت الى ماردين ثلاث معلمات منتميات الى الرهبنة الدومنكية وهن وارينا وبرنديت وريجينا تبعهن ثلاث نسوة ايضاً فاستاقهن الجنود العفاريت من سعرد اخر القوافل وكان عددهن ثلاثمائة وخمسين ونيفا لم يبق منهن سوى بضع عشر نسوة . وكان اعداء الانسانية يعرونهن من الصباح الى العصر ويتركونهن مكشفات تجاه الشمس لتطبخهن بهواجرها . ولم يأذنوا لهن البتة ان ياكلن او يشربن وكانوا يضطرونهن الى المسير في مستعجلات الطريق الوعرة . وعند الليل كانوا يحملون عليهن كالخنازير النجسة وفي يديهم المشاعل فيتخيرون من استحسنوا لارتكاب ما حرم الله . وجعلوا ذلك ديدنهم الوحيد في كل مرحلة حتى اذا

دنون من ماردين تمكنت النسوة الست من استحصال ثياب مرقعة تستترن بها وشخصن الى كنيسة السريان الكاثليك فاستحقهن الاب بيره رئيس الدومنكيين وبلغ امرهن الى السيد جبرائيل تبوني مطران السريان فصرف المساعي في كشف الضيم عنهن واوفدهن الى دير الراهبات الافراميات واجرى عليهن الاعطية والمعايش وعني بكسوتهن وسائر تكاليفهن مدة سنتين كاملتين ثم ارسلهن الى الموصل

اما السيد ادي شير النبيل فاشار عليه عثمان اغا الديرشوي ان يرحل عن سعرد الى دير شو وما مر عليه اسبوع حتى شعر به علي نقيب الاشراف والقاضي فجردا اليه العسكر ولما ابصروه وثبوا به وارادوه على الاسلام فابى فصوبوا نحوه البنادق ليقتلوه فقال لهم : سألتكم بالله ان تمهلوني هنيهة فجثا وصلى ثم لبس ثوبه وتقلد صليبه وركع وقال : لكم الحرية ان تفعلوا ما يعجبكم فاوغلوا في تعذيبه وفتكوا به وعادوا بامتعته الى علي والقاضي . غير ان الله جلت احكامه انتقم للحال من علي الزبور ومن ابنه ايضاً فقتلا كلاهما شر قتلة

وتشاغل الاعداء بعد ذلك بتوزيع اموال المسيحيين واستحلال ارزاقهم ومساكنهم فجعلوا كنيسة الكلدان الكبرى جامعاً سموه الجامع الخليلي تيمنا بخليل باشا راس النحوس عندهم . وخصوا مقام الاباء الدومنكيين بمستشفى العسكر . واكتشفوا على مطامير النصارى وخزائنهم من جملتها مطمورة بضائع ثمينة بلغت قيمتها فوق الاربعة الالاف ليرة كان سليمان حيقاري قد اخفاها في غرفة داخلية بداره وسيع الجدار لئلا يشعر بها اولو المطامع . واختلسوا

كل ما وجدوه في مخازن النصارى ودكاكينهم من غال ورخيص وتبايعوا عليه . فنقلوا مثلًا من مخزن سليمان حيقاري بضائع بثلاثة الاف ليرة تقريباً واختلسوا من مخزن اسرائيل منصور صهره اموالاً جاوزت قيمتها ثلاثة الاف ليرة ايضاً وقس على ذلك مخازن بطرس القس اشعيا ودكرمان والقدسي ميرزا ويوسف حيقاري وغيرهم

وما اجترمه محادو الانسانية في سعرت اجترموه في جميع القرى فقتلوا وذبحوا واختلسوا وسبوا وافحشوا ولم يدعوا فيها من النصارى نافخ نار

ونختم هذا الفصل بما جرى لاسرة حيقاري السريانية فان الخصوم بعدما فتكوا بكبيرها سليمان لاذت امه وشقيقته وقرينته وانجالهما بدار احد المنصبين وبذل الوسع في تسفيرهم الى الموصل سليمان افندي الكركوكي رئيس شعبة اخذ العسكر الذي كان سكن احد بيوتهم واخذ منهم بدل ذاك كثيراً من الحلي والجواهر . ونجا من تلك الاسرة سعيد الموجود اليوم في مرسيليا وشقيقه الدكتور جورج رئيس معالجة داء الكلب في مكتب الطب الفرنساوي ببيروت وظل هذا مختفياً في جبال لبنان يقاسي الامرّين حتى انطفأت جذوات الحرب القشوم

الفصل الثالث عشر

مذبحة كربوران

كربوران بلدة مخصبة في طور عبدين اغلب اهلها يعاقبة وارمن وسريان كاثليك . ولما شبت نيران المذابح استدعى المدير اولاد

على رمو ومشايخ العشائر واستنهضهم ليفتكوا بجمهور المسيحيين فحملوا من فورهم على البلدة وحصروا النصارى في بيوتهم مدة اربعة ايام يقاتلونهم فلا يقوون عليهم حتى ادى بهم العجز والضجر الى كشف سقوف البيوت والقاء التبن والعشب والقشاشى على الساكنين واضرموا فيها النيران حتى احترقوا جميعاً . اما الذين انهزموا فحملوا عليهم وقبضوا على اكثر من ستمائة شخص واوثقوهم رويداً رويداً وساقوهم الى السجن ولم يستحيوا سوى النساء والفتيات الحسان

وبعد ذلك اوفد المدير في طلب يعقوب مطران السريان اليعاقبة وقال له اعلم ان ليس في مكنتنا مقاومة العشائر او صدهم عن ارتكاب الجرائم والمنكرات . وفي ظني انهم متى ظفروا بك قتلوك لا محالة . فهلا تسمع نصيحتي وتجاهر بالاسلامية فان ذلك احوط لك وابقى لحياتك . فاقتنع المطران لسوء حظه بكلام المدير ولبث في داره ضيفاً معززاً مكرماً يومين كاملين

ولما درى بذلك الشماس يعقوب بن يوسف بامردي وكان مختفياً عن الخصوم خاطر بنفسه وسار الى دار الحكومة واستأذن في الدخول فالفى المطران جالساً الى يمين المدير والعمامة البيضاء على راسه فما تمالك الشماس ان بصق عليه وقال له « واذلاه لك . كيف وانت امام الملة نبذت جوهرة ايمانك الثمينة وبعتها بعمامة بخسة القيمة طمعاً في حياة وجيزة قصيرة » قال هذا وانقلب راجعاً ونزل الى الحبس وانضاف الى النصارى اصحابه يندب حالة المطران الشقي ويتأسف عليه . وفي تلك الليلة ذاتها هجم الجنود والاكراد على المسيحيين المسجونين فاوثقوهم كافة واخرجوهم زوجاً زوجا الى

موضع مصاقب لدار الحكومة وقتلوهم جميعا . وكان الشماس يعقوب يبعث فيهم روح الشجاعة ويحمسهم قائلًا لهم بالسريانية ما شرحه « انا خراف المسيح يلزمنا ان نحتمل مـا احتمل المسيح لنمالك مع المسيح . ثم التفت يقول لابن اخيه تشجع يا ابن اخي المحبوب وتقو فاننا عما قليل نغمض عيننا ونفتحها في السماء ونشاهد المسيح فادينا »

اما يعقوب بـلا مطران (كما يقول اليعاقبة) فان مصطفى بن علي زمو قصد بعد المذبحة دار المدير والح علية ان يسلمه المطران فأبى وقال له لا جناح عليه لانـه اسلم فالحف مصطفى في الطلب فرفض المدير . فما كان من مصطفى الا ان وثب بالمطران واوثقه واخرجه قسرا وذهب به الى محل قريب من دار الحكومة وامر اثنين من اعوانه فقتلاه شر قتلة [1]

اما الكنائس وما فيها فاستولى عليها الاعداء ولم يبق اليوم في كربوران سوى ثلاثة او اربعة من النصارى هجروا ايمانهم واسلموا

الفصل الرابع عشر

مذبحة دير العمر ودير الصليب وباسبرينا

ما زال حتى اليوم ابرهيم بن شندي واخوته وذووه يدعون بان دير العمر يخص المسلمين وان عمر ابن الخطاب ٦٣٥ — ٦٤٥ هو الذي انشاه واطلق عليه اسمه . ذلك يستغربه كل من له المـام

(١) اكدت ذلك امراة شقيق المطران المنكود الحظ وكانت اذ ذاك عند المدير بمثابة خادمة .

بتواريخ طورعبدين واديارة ويزداد استغرابنا اكثر فاكثر لـدى سماعنا بعض ائمة اليعاقبـة يقررون ذلك ويؤيدونهُ امام وجهاء الحكومة ويدعون بان عمرًا المذكور هو مؤسس الدير مستندين في ذلك الى اسمه ܥܘܡܪܐ (العمر) وفاتهم ان العمر لفظ سرياني يراد به الدير او مسكن الرهبان. ومن اراد ان يطلع على الحقيقة فله ان يراجع ما سطر على صفحات المشرق (١٦ : ٨٣٥) فيرى ان دير العمر يخص الكاثليك لا اليعاقبة لان ابن العبري اليعقوبي ذكر في تاريخه البيعي انه شيد سنة ٣٩٧م اي قبل انفصال اليعاقبة من حضن امهم الكنيسة الكاثليكية بقرن ونصف قرن ثم جدده السريان اليعاقبة في اواسط القرن السادس واليك ما جرى الدير اثناء الحرب

في خريف ١٩١٧ جهز شندي المذكور عسكرًا وحمل عـلى الدير واراد الحراس الاربعة الذين به على الخروج منه يقول ان الدير عائد الي. ثم دخل اليه في اصحابه فوثبوا بالرهبان والقسان وبسبعين من نصارى كفربه ومضوا بهم الى محل قريب وقتلوهم قاطبة ولم يفلت منهم سوى صبيين فقط انهزم احدهم الى باسبرينا والاخر الى عينورد . واستحوذ شندي واصحابه عـلى الدير بما فيه من كتب واثاث وذخيرة وما برحوا حتى يومنا مستوطنين فيه

اما من بقي في كفربه من النصارى فدافعوا عن ارواحهم مدة ستة اشهر فامنتهم الحكومة ورفعت عنهم الحصار وما مضى عـلى ذلك ثلاثة اشهر حتى ثار بهم العشائر وفتكوا بهم داخـل بيعة مار اسطفانس واحتووا على املاكهم وامتعتهم ولم ينج منهم الا نفر يسير تفرقوا طرائق في القرى المجاورة

واحتشد من اليعاقبة جم غفير في دير الصليب الشهير فسار اليهم اولاد علي رمّو في عشائرهم وحصروهم زماناً فلم يصيبوا منهم الغرض فتركوا عندهم عسكرا ليحفظوهم وتصرف باملاكهم امام قرية زاخرا . وفي ربيع ١٩١٨ بذل لهم علي كلمة الامان ووعدهم بالنجاة من كل سوء ففتحوا له الباب . وما مر القليل حتى تغامز هو واصحابه على قتلهم . فاغاروا على الدير في سبعة من الجنود وقصبوهم عن اخرهم ولم يعفوا الا على بعض النسوان الحسان واستحلوا الدير بما فيه

اما نصارى باسبرينا فان الحكومة ارسلت اليهم عشرة جند ليصونوهم على قولها . فلما راى ملكي حنا حيدو امام القرية ما جرى بنصارى القرى المجاورة ايقن ان العشائر سيهجمون على قريته ايضاً ويفتعلون بالاهالي ما افتعلوا بغيرهم . فاستدعى كبير العسكر وقال له ارى ان تسلمونا سلاحكم لنقاتل العشائر متى وثبوا علينا فلم يرضَ . فسار اليهم ملكي في جماعة من اهالي القرية واختلسوا سلاحهم واخرجوهم عن القرية ووعدهم ملكي انه لا يضرهم . ولما وصلوا الى مذيات وبلغوا القائم مقام ما صار امتعض اي امتعاض وحرد على النصارى وعلق يتحين الفرص للانتقام منهم وفي ربيع ١٩١٧ اوفد القائم مقام الخوري عيسى وجرجو مختار عينورد في جماعة من اليعاقبة الى باسبرينا يدعون الاسلحة المختلسة ويطلبون علاوة عليها اسلحتهم ايضاً ووضعوا شرذمة من الجند عندهم ليحرسوهم . فرضي ملكي بذلك وتبادر الى ظنه ان سحابة العدوان قد انقشعت وان الحكومة قد عدلت عن سابق فكرها . ولما سمع العشائر طفقوا

يغدون ويروحون وهم يستفغلون المسيحيين ليستاصلوا شافتهم . وبعد ذلك طلب الجنود من المختار ان يسلمهم الكنيسة ليبيتوا فيها لياليهم فرضي . ومذ ذاك ازداد عدد الجنود شيئاً فشيئاً حتى بلغوا المائة وهم داخل الكنيسة وملكي معهم . واتفق ان العشائر تالبوا على القرية وطلبوا المختار فاتفق معهم العسكر والقوا القبض عليه واحرقوه

وكانت باسبرينا منقسمة قسمين هذا مع ملكي المقتول وهذا مع الشيخ اوجين فانضم حزب اوجين الى العشائر بعد قتل ملكي بثلاثة اشهر وهجموا على اتباعه ليلاً وفتكوا بكبارهم وصغارهم فتكاً ذريعاً . وظلت باسبرينا في قبضة عشيرتي الصالحية والدومانية فاستحوذوا على البيعة والقرية وعلى جميع ما فيها ولم يبق من النصارى سوى زهاء عشرين بيتاً ممن انتموا الى اوجين . وكان قوم من حزب ملكي قد لاذوا بجبيس برحوما فثار بهم اعداؤهم ونقبوا الجبيس واحرقوهم عامة

ولما سمع علي بطي إمام عشيرة الهويركان بما جرى لاصدقائه ملكي حيدو ارسل فاستحضر الى مزيزخ جبرائيل (كوريه) عمه وامراته وامراة شمعون اخيه الذي كان محبوساً معه في خربوط قبل الحرب فافرد لهم داراً لسكناهم واعزهم ودرّ لهم الارزاق لميشتهم

الفصل الخامس عشر

مذبحة مذيات وصالح

مذيات قصبة طورعبدين موقعها في بطحاء فسيحة تحدق بها

الروابي والتلال المزدانة بالكروم والاشجار . واهلها يشربون مياه الابار وكان عددهم يناهز السبعة الاف اغلبهم يعاقبة وكان فيها ثمانون بيتاً من البرتستان وخمسون من الاسلام وثلاثون من السريان والارمن والكلدان الكاثاليك واليك ما حدث لهم اثناء القاتلة

يوم الاحد سادس حزيران شخص الى مذيات حسين الضابط الارديني واذاع ان مدير حصن كيفا وامين آغا فتكا بالنصارى الذين كانوا في ذلك الحصن فاحس القائم مقام وارسل فقبض عليه وكذب مقالته الصادقة وضربه وزجه في الحبس . وفي عصر ذلك النهار وصل الى مذيات ثلاثة من نصارى الحصن واكدوا مقالة حسين فدب الرعب في قلوب النصارى وتجهزوا المدافعة . وفي ١١ حزيران صار الى حبسناس مشايخ اشكفتا والرماء فعارضهم اسلام القرية وراجعوا القائم مقام فاوفد شرذمة من الجند قتلوا من العشائر شخصين وكشفوهم عن حبسناس ورجعوا

وفجر الاثنين ٢١ حزيران تحفز الجنود التطواف في بيوت المسيحيين ليفتشوا عن الاسلحة . وكان مع الجوالة القس افرام اليعقوبي وحنا سفر وعيسى زته وعزيز اغا رئيس البلدية يتقدمهم راوف بك قومندان التابور السيار فلما افاق النصارى وراوهم على الابواب ذعروا واندهشوا . وخرج من كل بيت كبيره يستفسر عن السبب فقالوا لهم اننا طبقاً لاوامر الحكومة جئنا ننقّر عن الاسلحة فاذا وجدنا شيئا اخذناه والا رجعنا فانكر النصارى عليهم الدخول بتاتاً . فالتفت راوف بك يقول للقس وللنصارى الذين معه « انتم تعرفون لهجتهم فرضوهم اندخل ونبحث »

فجعل الجنود ومن معهم يطوفون بيتاً فبيتاً كأنهم يريدون التفتيش عن السلاح . والقوا القبض على نيف ومائة رجل من الارمن والبرتستان وساقوهم الى سجن سفاكي الدماء وخلوهم ثم اسبوعاً كاملا . فاخذ القلق من النصارى ماخذ وحاروا فيا يصنعون

وليلة الاثنين ٢٨ حزيران نشم الجنود في القاء الاغلال باعناق المسجونين واكتافهم وعولوا على استياقهم . فوصل الخبر الى اليعاقبة فقصد القس افرام وحنا سفر دار الحكومة وقالا للقائم مقام بلغنا ان المسجونين يساقون الليلة . فنرى ان تامر منادياً ينادي ان لا يخرج احد من بيته لئلا يحدث شغب وفتنة . اما القائم مقام فاصدر الامر بسوقهم عند الظهيرة[1] في هرج ومرج فغادروا مذيات الى استل فالشولالات ثم انعرجوا عن الطريق وصاروا الى كفر جوز فبئر سيطا . وهناك اذاقوهم الوان العذاب ثم عروهم كمالوف العادة وذبحوهم وزجوهم في البئر وما برحت اصداؤهم فيها حتى هذا اليوم

ويوم الجمعة ٢ تموز اشار القائم مقام الى الحاج بشار بك فاوفد الخبر الى حسنو مختار صلح ليضم اليه العشائر ويحرضهم على الفتك بالمسيحيين . وصباح السبت ٣ تموز اكتنف الجنود والعشائر معاً بالقرية فاخذ المسيحيون اسلحتهم ليدافعوا عن نفسهم ولكن العسكر

(١) ما خرجت القافلة من مذيات حتى التفت جبرائيل (كله) هرمز يقول لحنا سفر كبير السريان اليعاقبة « امام يا حنا انا بدسائسك ودسائس اصحابك وصلنا الى هذه الحال . فنحن قد قضي امرنا وعما قليل نصير الى عالم الموتى . اما انت ويعاقبتك فتمتعوا بالحياة الدنيا . ولكن لا يفتك انك ستقتل انت ايضاً شر قتلة » وفي الحق ان حنا سفر يوم دارت الدوائر على اليعاقبة قُتل داخل مذيات ولعب الاعداء بهامته تلاعبهم بهامة اذل الحيوانات واخسها

لكثرتهم تغلبوا فقتلوا عامة النصارى داخل دورهم واستثنوا منهم النساء الحسان فاستبدوا بهن ولم يفلت من نصارى صلح سوى بعض اشخاص كانوا في حفره واربعة كانوا اثنا المذبحة غائبين وما زالوا حتى اليوم في قيد الحياة يخدمون رئيس البلدية . وبعد ذلك كله نهبوا الاموال والمواشي وتصرف حسنو بالاملاك والاراضي

ولما راى اليعاقبة ما حدث لجماعتهم في صلح اخـذوا يحتاطون لانفسهم ويبحثون عن اسلحة ليقاوموا بها هجمات اعدائهم . فلما شعر بذلك القائم مقام استدعى شيوخ اليعاقبة ومختاريهم وبلغهم انه يريد ان يضع في دار كل منهم انفارا من العسكر صيانة لحياتهم غير انهم لم يستصوبوا كلامه ولم يعتمدوا على رايه بل لاذوا ببيوتهم وجلين وآلوا على انفسهم ان يلزموها ريثما يجدون ذريعة التملص من دواهي القائم مقام . اما سعادته فاصر يطلب وضع الجنود في البيوت للحراسة او ان شئت فقل للخيانة . فتاكد اليعاقبة اذ ذاك ان لا بدَّ من قتلهم كما قتل الذين سبقوهم

وسادس عشر تموز امر القائم مقام عامة الجند ان يطلقوا الرصاص على دور اليعاقبة . فنهض اليعاقبة لمعارضتهم ومقابلتهم وظلوا يتضاربون من مفتتح اليوم الى مختتمه . فارسل القائم مقام في استحضار العشائر من نواحي دياربكر وماردين وسعرد والجزيره فلبوه صاغرين طائعين وشخصوا الى مذيات وظلوا يقاتلون النصارى اسبوعاً كاملا حتى فتكوا بهم داخل البيوت وخارجها وذبحوا الاطفال والرضعان ثم عروهم وجمعوا جثثهم حول البلد واحرقوها والقوا بعضها في الابار . فقتل من النصارى زهاء عشرة الاف نسمة منهم القس هرمز دنحو

ولم ينجُ سوى الف نسمة تقريباً انهزموا تحت الليل الى عينورد وكان معهم القس بطرس حال

وبعد هذا طاف العسكر والجنود واختلسوا ونهبوا وصادفوا في الاسراب والمخابئ زهاء خمسمائة من رجال وصبيان فاستاقوهم جميعاً الى خان موسى الشماس جرجس وحبسوهم يومين ثم افرزوا من كان من السن السبعين الى السن الخامسة وساروا بهم ليلاً على طريق استل وقتلوهم وزجوا . اما الاطفال فمضوا بهم الى المحل وقالوا للنصارى الموجودين ثم خذوا نصاراكم وربّوهم

وكان فرج الله مرزا عند الحاج بشار بك فاخذ منه ٢٥٠ ليرة وابتز جميع امواله وامتعته وسيّره مع من ذكرنا اعلاه الى استل وقتل كرفاقه

واعلم ان رجال اليعاقبة على كثرة ما اصابهم من التعدي كالقتل والسلب والسبي كانوا يحاولون اهلاك النصارى المتبقين في مذيات ونواحيها من غير طائفتهم ولاسيما داود بن جبرائيل هرمز البرتستنتي واليك ما كتبوه في هذا الشأن بتاريخ ٢١ تموز ١٣٣٤ اعني ١٩١٨ م الى متصرف ماردين بتصرف قليل :

« المعروض اننا نحن جماعة اليعاقبة ما زلنا منذ الف وخمسمائة سنة تحت ظل الملة الاسلامية والدولة العلية العثمانية . ونؤيد ان اموالنا وارواحنا هي فدًى لها . كل ذلك يؤيده جميع من عاشرهم وعرفهم .. غير ان داود بن جبرائيل هرمز احد وجهاء البرتستان بمذيات ما برح متحدا مع اليزيدية وهو احد اعضاء الجمعية المنتمية الى الارمن والانكليز والاميركان . وقد اقاموه بمثابة جاسوس يسعى

في ما يؤول لانتصار الارمن والاميركان . بل هو من وجهاء الحمية الخنجكيانية الارمنية مذ عام ١٣١٧ وعام ١٣٢٠ و١٣٢٧ و١٣٢٨ وهذا داود انهزم هو وابن اخيه جرجس وابن اخته بولس وقت سوق القافلات من وجه الحكومة الى انخل وعينورد وباسبرينا وحباب وسائر قرى اليعاقبة واليزيدية واثاروا الاكراد الجهال المغفلين وحثوهم ليقاوموا الحكومة السنية . وما فتئوا مذ ثلاثة اعوام على هذه الحال . بل ان داود منذ استاقت الحكومة والده واخوته لا يفتر من ان يثير الفتن والمشاغب على الحكومة ويحاول ان يسترجع اموال والده واملاكه الحاصلة اليوم في حوزتها ويتظاهر بانه منتم الى اليعاقبة قصد الفوز بغايته هذه : مع انه يفرغ كل جهده في القدح في اعراضنا ليثير الحكومة علينا . بل نراه يتنقص الحكومة ويصرح للاهالي بانها جائرة ظالمة غدّارة . ولا يخفى انه اذا استمر في مذيات ازداد الفساد واستفحل الشر

بناء على ما ذكر نسترحم ان تصدروا في حقه اوامر النفي (بالشفرة) والخفية لئلا يطلع اصحابه ولاسيما المنصبون فيبلغوه ذلك ويستعجلوه على الهرب كما جرى الامر منذ سنتين . فنسترحم اذاً ان تجروا به مثلما يستحق جرمه ذلك تاميناً لحقوق اليعاقبة الاذلاء المساكين وصيانة لحياتهم واطلاق الحرية لهم في الاخذ والعطاء. والا سلبت الامنية بالمرة وازداد الفساد والاضطراب ٠

هذا والضبطة مرقومة بالتركية وهي محفوظة لدى داود المذكور ممضية باسم الخوري عيسى والقس جبرائيل ومحي كرّو مختار اليعاقبة وموسى اسمر العضو النصراني ورشيد بن عبد العزيز العضو المسلم

وحجي مختار الاسلام بمذيات

ولما وصلت الضبطة الى متصرف ماردين دفعها الى حسن افندي المتولي ليجري في داود ما يستوجبه فسار الى مذيات وواجهه ولكن الله سبحانه باحكامه الغامضة انقذه من دهاء اعدائه وكيدهم

بقي ان نورد كلمة في شان كنيسة السريان الكاثليك بمذيات على ان رجال الحكومة كانوا مذ اذار ١٩١٥ قد جمعوا مائة وعشرين من العملة النصارى فهدوا الجامع العتيق ليجددوه ويوسعوه . فباشر العملة في التقويض والبناء من دون اجرة ولما وصلوا الى النصف ثارت نيران الشحناء وخاضت الحكومة في الدماء فابطلت العملة والغت البناء . وفي ربيع ١٩١٦ نهض شاكر افندي ابن الملا زبير المارديني وكيل جامع مذيات يريد انجاز العمل فجمع ثلاثين من النصارى وامرهم بتقويض كنيسة السريان الكاثليك فدكوها من الراس الى الاساس ونقلوا حجارتها كلها الى الجامع وارسل شاكر الى ماردين فاستحضر حنا صاني الارمني الذي اسلم ووكل اليه ان ينجز البناء ويشيد منارة الى جانب الجامع فابتنى بالحجار ما ابتنى وقفل راجعاً الى ماردين ولم يكمل بناء الجامع والمنارة حتى يومنا

الفصل السادس عشر

المعروف والاحسان او الدكتور نعمان

ليت شعري هل من رذيلة اقبح من نكران الجميل وغمط الاحسان. ايروق الأب ان يرى ابنه يعاديه ويحاول ان يتلفه ويرديه أيهون على قلب المحسن ان يرى من احسن اليه يدبر على تدميره ٠